ديوان ابن النقيب

(١٠٤٨ – ١٠٨١ هـ)

في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من ديوان ابن النقيب نقلت عن المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩٥ .

أما صاحب الديوان فهو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد المعروف بابن حمزة الحسيني وبابن النقيب . ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين وألف ، وتخرج بوالده النقيب وبجماعة من علماء دمشق وغيرها ، وغلب عليه الشعر والأدب ؛ وشعره يدل على رقة طبعه وحسن ذوقه وافتتانه بمحاسن الطبيعة ؛ وله مجموعة تشتمل على مختارات تشهد على حسن اختياره وحسن اطلاعه على الشعر . تكاد تكون كلها في وصف محاسن الطبيعة ووصف الجمال على اختلاف مظاهره ، وهي موجودة عندنا بخط الشاعر نفسه ، وليس هنا موضع الكلام عليها .

ولم يعش الشاعر كثيراً بل توفي مطعوناً في حياة والده سنة إحدى وثمانين وألف ولم يكمل الثالثة والثلاثين من عمره ، ودفن في مقبرة الدحداح غربي قبر أبي شامة . وترجم له المحبي في خلاصة الأثر وفي نفحة الريحانة .

أما ديوانه فقد جمع بعد وفاته ، جمعه ابنه السيد سعدي [1] ورتبه على حروف المعجم . قال في مقدمة الديوان :

(... وبعد فلما كان الأدب كبش اللسان ، وزبرج النطق والبيان ،

---

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . انظر سلك الدرر للمرادي ٢/١٥٦ .

عنّ للخاطر ، والفكر الفاتر ، جمع كلام سيدي الوالد ٠٠٠٠ السيد عبد الرحمن ٠٠٠٠ نجل السيد محمد النقيب ٠٠٠٠ وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده ، وَلَمّ شعث مقاطيعه وقصائده ، فأعملت جواد العزم في تطلابه من مسوداته ، وتلقفته من أفواه رواته ٠٠٠٠ وقد رتبته على الحروف ، والأسلوب المألوف) .

وعدد صفحات الديوان مائة واثنتان وسبعون صفحة في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وقلمه القلم المعروف بالنسخ ، وخطه واضح مقروء على أنه لم يخل من الأغلاط . وقد ورد في آخره ما نصه : (تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان ، جمع السيد الشريف الحسيب النسيب السيد محمد سعدي بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى . وافق الفراغ من نسخه ضحوة نهار الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف . على يد الفقير أحمد بن محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والديوان من الدواوين النادرة من حيث طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية ، وقلة الأغراض المشحونة بها دواوين الشعراء ، فلقد تنزه عن الهجاء وخلا من الرثاء ، وكاد يخلو من المدح لولا بضع قصائد هي أشبه بالإخوانيات منها بالمدح المعهود في قصائد الشعراء ؛ فيكاد يكون كل ما فيه ترجمة عن عواطف النفس وهوى الشباب وعبادة الجمال في جميع مظاهره ، وتصويراً له ، وصاحب الديوان لا يرى الشعر إلا تصويراً وابتكاراً قال :

الشعر ضربٌ من التصوير قد كشفتْ ... منه القرائحُ عن شتى من الصور

فاعمد إلى قالبٍ عُونٍ تُدَمّثهُ ... وافرغْ به أي معنىً شئتَ مبتكر (١)

أما الوصف فلقد طغى على جميع ما في الديوان من المعاني والأغراض ،

(١) الديوان ورقة ٤٥ .

وأكثره في الرياض والأنهار والأشجار والأزهار . قال المحبي في نفحة الريحانة [١] : (... ماأذكره له تشبيه زَهر أو زَهر ، أو وصف روضٍ مطل على نهر ، وهو ممن أغري بهذين النوعين .... وذلك إما لميل غريزي في فطرته ، أو لأن دمشق مترَوّح فكرته) .

والطريف في وصفه عنايته الشديدة بالحركة حتى يكون الوصف صورة متحركة ، من ذلك قوله في طلوع البدر من خلال الأغصان :

وكأنما الأغصان تثنيها الصبا ... والبدر من خلل يلوح ويحجبُ
حسناء قد قامت وأرختْ شعرها ... في لجةٍ والموج فيها يلعب [٢]

وقوله :

ومجلسٍ حففت الغصونُ بنا ... فيه ووجهُ الرياضِ مبتهجُ [٣]
كأنّ أوراقها يرفُّ بها ... فوق الندامى نسيمها الأرجُ
خضرٌ من الأُزر لا تزال بها ... مناكبُ الراقصات تختلجُ

وقوله :

والنهر بين الغصون مُطَّرِدٌ ... وموجه تابعٌ ومتّبَعُ [٤]

ولقد أكثر من وصف دمشق ومتنزهاتها في مناسبات مختلفة كوصف نزهة مع بعض إخوانه في الغوطة أو في الربوة ، أو وصف الربيع في بستان من بساتين دمشق . وله قصيدة في متنزهات دمشق ذكر فيها الغوطة والفيجة وبيتيمة والأشرفية وجديدة والهامة ودمر والشادروان والربوة والنيربين والصالحية وسفح قاسيون ودير مران والشرف والمرجة .

(١) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقة ٢/١١٠ .
(٢) الديوان ورقة ١٢ .
(٣) الديوان ورقة ١٦ .
(٤) الديوان ورقة ٥٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان كثيراً ما يختلف الى هذه الأمكنة مع أصحابه أو وحده ، وقد يكتب على جذوع الشجر ما يوحيه اليه طيب المكان وحسنه ، قال ابنه جامع الديوان : (ورأيت بخطه ما مثاله : وكتبت على شجرة بوادي دمشق وقد اتخذت في ذَراها مقيلا ، وأنخت في ظلها الوارف أصيلا ، وقد كستْ متن بَردَى ، من ظلها الألمى بردا ، فوصفت ذلك المقيل بما صورته من المقال :

يا سرحة الوادي سُقيتِ من الحيا غدقاً بواصل ذيله بقطاره [١]
لم أنس يومي في ذَراك [٢] وحبذا من ظلك الألمى دبيب عذاره
لما أنختُ بجانب النهر الذي قد طاب لي عيشٌ مضى بجواره
حيث النسيم جرى عليه مهينماً فكأنما ناجاه بعض سراره
فتجعدتْ منه الأسرة واغتدى بخريره ينبيك عن أخباره
يا طيب ذياك النسيم جرى على بَرَدَى يسابق ذيله بعثاره
قد رحتُ منه بالشميم مضمخاً مما حباه الروض من أزهاره)

ولعل الربوة كانت أحب المتنزهات اليه فلقد قال فيها أكثر مما قال في غيرها من الشعر .

وكان مأخوذاً بحب الأزهار ، ولشدة شعوره بجمالها يتخيلها أحياء تحس وتتألم وتفرح وتحزن ، وقد وصف غير قليل من أنواعها كالورد والقرنفل والياسمين بألوانها المختلفة والنرجس والبنفسج والسنبل ، وكان القرنفل أحب الأزهار إليه قال فيه غير قليل من المقطوعات ، وجاراه في هذا الباب عدد من شعراء دمشق أشهرهم الأمير منجك الذي كان صديقاً له .

---

(١) الديوان ورقة ٣٩ .
(٢) الذرا : الستر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووصف الربيع ومواكبه الساحرة ، والحمائم والبلابل والشحارير وسجعها ، والأنهار وهبوب الرياح والنسيم الواني [١] (على حد تعبيره) والروائح الذكية والسحب والمطر وما الى ذلك من محاسن الطبيعة وبواعث الشعر .

ووصف ليالي الأنس وأوقات الصفاء ومجالس الطرب وما فيها من لهو وعبث وشراب وغناء ورقص وله في ذلك مزدوجة لطيفة أولها :

يا مؤثر اللهو وطيب النعمه   ورافعاً فيه سجوف الحشمه [٢]

وفي الديوان قصيدة [٣] فريدة في بابها ليس لها نظير ، ذكر فيها مجالس الأنس والطرب والمغنين والندماء في الدولتين الأموية والعباسية الى عهد الراضي ، مراعياً الترتيب الزمني ، وختمها بذكر البرامكة والحمدانيين وابن العميد والصاحب ابن عباد ، والأماكن المشهورة بالحسن . ونحن ننقل هذه القصيدة من الديوان مع ما كتب على الهامش وبين السطور من الشرح المختصر ، ونجعله في الذيل ؛ وما كان منه بين هلالين فهو من زياداتنا ؛ وأمكنة الفراغ ممحوة في الأصل أو غير مقروءة أو ذهب بها تفريط المجلد في الحبك والقطع .

---

(١) ورد في الديوان قوله :

بكر الروض بالنسيم الواني   وتجلى الربيع في الوان

ورقة ٧٩ .

(٢) الديوان ورقة ٧٥ .

(٣) الديوان ورقة ٢٩ .

قال يذكر بني أمية وبني العباس وندماءهم وأرباب الغناء من المشاهير :

كلما جدَّدَ الشجيُّ ادِّكارَهْ أزعج الشوقُ قلبه واستطارَهْ (١)
ليت شعري أين استقل عن اللهـو (٢) بنوه وكيف أخلوا مزاره
بَعد ما راوحتهمُ صفوةُ العيشِ ونالوا طوعَ الهوى أوطاره
وجروا في مطارد الأنس طلقاً واجتلوا من زمانهم أبكاره
بين كأسٍ وروضةٍ وغدير وسماعٍ ولذةٍ وغضاره
أين حلوا فمعشبٌ ومقيلٌ أو أناخوا فوردةٌ وبهاره
من مليكٍ زَفَّتْ بحضرته الكأ سَ قيانٌ يعزفن خلفَ الستاره
ووزيرٍ قد بات يسترق اللذا تِ وهناً والليلُ مرخٍ إزاره
وأميرٍ ممنطق بنداما ه وكأس الطلا لديهم مُداره
كم فتىً من بني أمية أمسى وخيولُ الهوى به مستطاره

(١) استطاره الشوق : عبارة عن غاية قال الوزير ابو محمد بن عبدون يذكر

فما أنس لا أنس عهدي بهـا وجري فيها (ذيول المراح)
فكم لي في اللهو من طيرة

(٢) بنو اللهو : هم الذين تعاقروا أكوابه ، وركبوا نجائبه وأفراسه .
وللصاحب في نحوه : أبناء الحروب الذين ذاقوا كؤوسها حلوةً ومرة ، والتحفوا لباسها مرةً بعد مرة . وأما بنات اللهو فتقال للأوتار . قال ابن المعتز :

أقمت أشربهـا طرباً وعندي بنات اللهـو تعبث بالوقار
ونجم الليل يركض في الدياجي كأن الصبح يطلبه بثار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيزيدٍ (١) وشأنه مع أبي قيـــسٍ وما قد عراه في عمّارهْ
ونداماه كابن (٢) جعدة والأخـــطل إذ عاقراه صفواً عقاره
وقضى ليله مع ابن زيادٍ (٣) وقتيب (٤) بن مسلمٍ ونهاره

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس وكنيته أبو خالد . وأبو قيس قرد له كان ينادمه يكنى أبا قيس ، فكان إذا رآه قال : شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة مسخه الله قرداً ؛ فربما وثب فقعد على عاتقه وربما عبّ معه في الكأس ، وإذا قعد على وسادة الندام اتكأ على مثل تكأته ؛ ولما مات كفنه ودفنه وأمر أهل الشام عليه وعزوه فيه وله يقول يزيد :

نديمي أبو قيس أخف مؤونةً وأحلى إذا غاب حلم المنادمِ

وعمّارة : أخت العريض وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، أخذت الغناء عن أخيها وعن ابن سريج وابن محرز وفيها يقول بعض فتيان العرب :

لو تمنيت ما اشتهيت لكانت غاية النفس في الهوى عمّاره
بأبي وجهها الجميل الذي يز داد حسناً وبهجة ونضاره

(٢) ابن جعدة : هو قدامة بن جعدة بن هبيرة الخزرجي . والأخطل : هو الشاعر المشهور واسمه غياث بن غوث من بني تغلب ويكنى أبا مليكة (كذا والصواب أبا مالك) وكان نصرانياً من أهل الجزيرة وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة .

(٣) هو مسلم بن زياد وكان نديماً ليزيد .

(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان شهماً مقداماً وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهو صاحب الحرون وكان الحرون من المشاهير يضرب به المثل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكمروان (١) وابنه حين واسى بلذاذات عيشه سُماره
نادمته أبناء (٢) يالية اللا ئي قضى في ربوعهم أسحاره
وكمثل الوليد (٣) ذي القصف إذ كا ن يغب اصطباحه وابتكاره
ولديه الغريض (٤) وابن سُرَيْج أظهرا كل صنعةٍ مختاره
من غناء ألذ من نشوة الكأ س وأشهى من صبوةٍ مستثاره
وسليمان (٥) ذي الفتوة إذ كا ن لنحو الدلفاء (٦) يبدي افتراره

---

(١) ومروان بن الحكم وكان غليظاً . وابنه : هو عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ويكنى أبا الوليد ويقال له أبو الأملاك وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده .

(٢) (أبناء يالية : هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة كان يأتيهم ليلاً وينادمهم) .

(٣) (الوليد بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٨٦ وتوفي سنة ٩٦ كان من أفضل خلفاء بني أمية) .

(٤) الغريض : قال صاحب الأغاني اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل كان يكنى أبا مروان ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر فلقب بذلك والغريض الطري من كل شيء وهو أحد المغنين ورئيسهم . وابن سريج : هو أبو يحيى عبيد الله بن سريج ذكر صاحب الأغاني أنه كان أحسن الناس غناءً وكان يغني مرتجلاً ويوقع بالقضيب .

(٥) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان كان أكولاً قيل انه نزل بالطائف فأكل صبعابة رمانة في يوم وخروفين وست دجاجات وأربعة صحون لوزينج .

(٦) الدلفاء : مغنية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت اليه .

ويزيد بن [١] خالدٍ وأبو زيـــدٍ … نديمان يشفيان أُواره

بحديثٍ يستعجل الراح بالرا … ح ويحتث أنجماً سيَّاره

إذ يغني سنان [٣] كان يغالي … ويجلِّي بشدوه أكداره

وابن عبد العزيز [٣] إذ راوح الكأ … س ووالاه في زمان الإماره

ويزيد [٤] المعمود إذ خامرته … نشوة الراح ليله ونهاره

وسبت لبه حُبَابة [٥] واستهـــوته … حتى أباح فيها اشتهاره

واستمالت به سَلامة [٦] حتى … أقلق الوجد فكره وأثاره

إذ يناجيه لحن مَعْبَد [٧] بالشجـــو … كما شاء معمـلاً أوتاره

---

(١) يزيد بن خالد التميمي كان سليمان يخصه وينادمه . وأبو زيد الأسدي كان خاصاً به يجالسه وينادمه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) مغن كان يأنس به سليمان بن عبد الملك ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أشج بني مروان وأعدلهم .

(٤) يزيد بن عبد الملك مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره ودفن بالبلقاء .

(٥) حبابة جارية كانت تسمى العالية أخذت الغناء عن ابن سريج وكانت مدنية شغف بها يزيد فكان يوماً يلاعبها فضربها بحبة رمانة وقيل بعنبة فدخلت في حلقها فشرقت فماتت فامتنع من دفنها حتى أنتنت دفنها قهراً عليه .

(٦) سلامة جارية اشتريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء .

(٧) هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين .

ولكم ألّف الغناء لديه ضرب عوّادة على زمّاره
وهشام (١) إذ استبدّ اختياراً بالرساطون (٢) واستلذ اختياره
من شراب ظلّت أفاويه العطـ ـر به ذات نفحة سيّاره
والوليد (٣) المليك إذ واصل الكا سات واللهو جهده واقتداره
واغتدى في تهتّك ومجون كان يجني قطوفه وثماره
ومناه ذكرى سليمى (٤) لوجد ظل يذكي لهيبه واستعاره
إذ يغنيه مالك (٥) بن أبي السمـ ـح وعمرو (٦) الوادي فينفي وقاره
ولكم خفف ابن عائشة (٧) اللحـ ـن له فاستخفه واستطاره

(١) هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(٢) الرساطون : شراب كان يصنع لهشام يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قوياً صلباً وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتزندق كان محباً للشرب واللهو والطرب وقتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٤) سليمى : هي بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل .

(٥) مالك بن أبي السمح الطائي جاء في العقد لابن عبد ربه أنه أخذ الغناء عن معبد بن وهب وكان لا يضرب بالعود وانما يغني مرتجلاً .

(٦) (كذا والصواب عمر الوادي من أهل وادي القرى اتصل بالوليد بن يزيد بعد أن أخذ الغناء عن أهل الحرم فآثره الوليد وأنس به) .

(٧) هو محمد ابن عائشة ويكنى أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وبغنائه يضرب المثل .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابن ميّادة(١) بن أبرد والقا سم(٢) كانا يحنحنان عقاره
بندامٍ ألذ من زورة الحب وأبهى من روضةٍ في قراره
وبُدَيحٌ(٣) أتى بأمر عجاب إذ تولى على القرود الإماره
ويزيد(٤) المليك إذ كان يهوى صوت حدو الحداة في كل تاره
وتغني الركبان مذ كان منشا ه البوادي حتى اعترته الحضاره
وكمروان(٥) ذي الفتوة إذ كا ن يوالي في غبطة أسفاره
فيرى اللهو والسماع مناه ويرى الحرب قطبه ومداره

* * *

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

(١) ابن ميّادة اسمه الرمّاح بن أبرد من غطفان (الشاعر نصيح) كان ينادمه ويحدثه حديث الأعراب .

(٢) هو القاسم (بن) الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه اليه وأخصهم به .

(٣) بديح مولى عبد الله بن جعفر (كان يضرب به المثل في حسن الصوت) .

(٤) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص لأنه نقص الجند من عطاياهم فلقب بذلك وقيل لأنه ناقص الوركين وقيل لقصر يديه وكانت المعتزلة تفضله على عمر بن عبد العزيز لكونه ينتحل مذهبهم .

(٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي وكان زنديقاً ويلقب برأس الحمار لشجاعته وقيل لبلادته وبه تم ملك آل مروان وخلافة بني أمية وأتى الله بالدولة العباسية . وخلفاء بني أمية من لدن معاوية الى مروان الجعدي أربعة عشر رجلاً .

وكآل العباس إذ كان عبد [١] اللـــه يقضي طوع المنى أوطاره
ثم غدا ليلة الثلاثاء والسبـــت يوالي الغبوق بالقرقاره
وابن صفوان [٢] في الندامى يعاطيـــه كؤوس الحديث خلف الستاره
ونديهم أبو دلامة [٣] طوراً يصطفيه ويجتلي أشعاره
وتحسّى منصورهم [٤] من وراء النســـك راحاً والى عليها استتاره
حل منه ابن جعفر [٥] في نداما ه محلاً إذ كان يبلو اعتشاره
فيراه فيهم ظريفاً أديباً لسناً حاذقاً لطيف الإشاره
ثم كان المهدي [٦] يجلس للأنـــس فيصفي لشربه أوطاره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس) .

(٢) هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس السفاح ينادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته .

(٣) أبو دلامة اسمه زيد بن الجون وكان ظريفاً فصيحاً كثير النوادر ماجناً خبيثاً مدمناً للشراب راوية للأخبار والأشعار .

(٤) المنصور هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب أخو أبي العباس السفاح لأبيه (ثاني خلفاء بني العباس) .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس كان المنصور يأنس به ويتنذ بمحادثته .

(٦) المهدي هو محمد بن المنصور وهو الذي زاد ... الحرام وبنى العلمين .

وفُلَيح (١) العوراء يشدو لديه فيسنّي حنينه وادكاره
ولديه ترب الغناء أبو إسحق (٢) يشدو بصنعةٍ ومهاره
ثم كان الهادي (٣) إذا حاول الشرب وغنى ابن جامعٍ (٤) مختاره
يتولى الندام عيسى (٥) بن دأبٍ بكؤوسٍ من الحديث مُداره
ويفيض ابن مُصْعَبٍ (٦) في نثير القول من حيث ينتقي أبكاره
وتحسّى الرشيد (٧) في دير مُرّا ن على كل تلعةٍ وقراره
من مدامٍ حكتْ رهابنةُ الدير بها في بهارةٍ جُلّناره
وعلى ضرب زَلزَلٍ (٨) كان برصو ما لديه مواصلاً مزماره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) فليح بن العوراء المغني ·

(٢) هو ابراهيم الموصلي المشهور بالغناء ·

(٣) الهادي هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن المنصور ·

(٤) (اسمعيل بن جامع من أشهر المغنين ومن طبقة ابراهيم الموصلي) ·

(٥) (كان عيسى بن دأب من أكثر الناس أدباً وأكثرهم حظوة عند الهادي) ·

(٦) (هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شاعر فصيح خطيب) ·

(٧) الرشيد هو أبو جعفر هرون الرشيد بن المهدي لبث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وحج ماشياً رحمه الله تعالى · ودير مران بناحية من دمشق يشرف على قرى ومزارع وغدران ورياض ·

(٨) زلزل اسمه منصور كان يضرب (بالعود) فقط وهو من الطبقة الأولى · وبرصوما كان زامراً في الطبقة الثانية فطرب منه الرشيد يوماً فرفعه الى الطبقة الأولى ·

ثم كان الأمين (١) يمرح من لذ اته في أعنّة مواره
إذ ترامى بحب كوثر (١) حتى سكن الحب قلبه واستخاره
ولديه مخارق (٢) في المغنيـن وبَذْل (٣) الكبيرة المهتاره
والحسين (٤) الخليع ينثر عقداً من ندام يشف تحت العباره
ويزف ابن هانيء (٥) للفكاهات كؤوساً من الهوى مستعاره
وأدار المأمون (٦) أكواب راح شمشع القصر نورُها واستناره
حيث علوية (٧) المغني واسحق (٨) يزفان في الدجى أقماره

(١) محمد الأمين بن هرون الرشيد وأمه زبيدة هاشمية ، ولم يل الخلافة بعد علي بن أبي طالب هاشمي وأمه هاشمية غيره ، كان فصيحاً أديباً عالماً بأيام الناس وكان له خادم اسمه كوثر وكان يهواه حتى قال فيه :

ما يريد الناس من صب بمن يهوى كئيب
كوثر ديني ودنيا ي وسقمي وطبيبي

(٢) مخارق كان مملوكاً لامرأة من أهل الكوفة فاشتراه منها اسحق بن ابراهيم (الموصلي وعلّمه الغناء فبرع فيه) فأخذه الرشيد منه .

(٣) بَذْل : جارية كانت لجعفر بن موسى (الهادي أخذها منه الأمين وهي إحدى المغنيات المحسنات) .

(٤) (هو الحسين بن الضحاك الباهلي المشهور بالخليع الشاعر النديم) .

(٥) أبو نواس (الحسن بن هانئ الشاعر المشهور) .

(٦) المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد .

(٧) علوية (هو أبو الحسن علي بن عبد الله كان مغنياً حاذقاً) .

(٨) (اسحق بن ابراهيم الموصلي كبير المغنين العالم الأديب الشاعر النديم) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث يحيى [1] بن أكثم يتولى بسطه وابن طاهر [2] أسماره
وعُرَيْبٌ [3] مع القيان تغنيه بصوتٍ تخيرتْ أشعاره
وابن هرون [4] كان يألف إبرا هيم [5] شوقاً ويستلذ اعتشاره
واغتدى الواثق [6] المقدّم في الشعـر على الكأس معملاً أدواره
إذ تولى بأمره مهج [7] الخا دم عند اصطباحه إسكاره
واغتدى أحمد النديم [8] على شر ط بني اللهو ناشراً أخباره
وانثنى الفتح [9] ينتحي من أحاديث الهوى ممتعاته وقصاره

---

(١) (يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون أحد أعلام الدنيا علماً وأدباً وعقلاً) .

(٢) (هو عبد الله بن طاهر من أكابر رجال المأمون) .

(٣) عريب جارية عبد الله بن اسمعيل صاحب المراكب كانت أحسن الناس وجهاً وغناء .

(٤) هو محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٥) هو ابراهيم بن المهدي المتقدم ذكره الشاعر المشهور (كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة) .

(٦) الواثق بالله هرون بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٧) مهج : (خادم الواثق الذي كان يأنس به ويهواه وله فيه أشعار كثيرة) ؛

(٨) (هو أحمد بن حمدون كان مقرباً من الواثق وله كتاب الندماء والجلساء) .

(٩) الفتح هو الفتح بن خاقان (ومن حقه أن يذكر مع المتوكل لأنه مستشاره وصفيه) .

فتنته فريدة (١) وعلى قد ر الهوى يخلع المحب وقاره
وأبو الفضل (٢) كان يغدو على الرا ح مبيداً لجينه ونضاره
حيث كان الكشحي (٣) يأخذ عرض القول فيما أحبه واختاره
وزنام (٤) بالزمر يعزف طوراً وبنان (٥) بالعود تضرب تاره
ويغني عمرو (٦) بن بانة والطبـ ـل عليه سلمان (٧) يبدي اقتداره
وأبو جعفر (٨) أزاح اغتناماً مع يزيد المهلبي (٩) استتاره
وغدا المستعين (١٠) يحرق للند مان بالمن نده وصواره

---

(١) فريدة جارية الواثق كان أهداها له عمرو بن بانة فحظيت عنده وكانت من الموصوفات بالجمال الفائق والغناء الرائق .

(٢) هو جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٣) أبو بحر كان من أطيب الناس وأكثرهم نوادر وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به .

(٤) (زنام : زمّار حاذق) .

(٥) (من الجواري المحسنات وهي شاعرة) .

(٦) عمرو بن بانة من المغنين (المشهورين وهو معدود في الندماء وله شعر) .

(٧) طبّال ماهر .

(٨) هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل على الله .

(٩) هو يزيد بن محمد المهلبي مدحه ونادمه حتى اشتهر به .

(١٠) المستعين بالله هو أحمد بن محمد المعتصم (الند : العنبر، والصوار : المسك) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم هام المعتز (١) بابن بُغاء (٢) عند ما شام وجهه وعذاره
وانثنى ابن القصّار (٣) طوراً يغنيه بحذقٍ مرقصاً طنباره
فيناجيه بالهوى ويناغيه ويذكي بين الأضالع ناره
وبدا المهتدي (٤) فكان اصطناع العرف والجود سمته وشعاره
وأناخ ابن جعفرٍ (٥) في مدار القصف والعزف نافياً أكداره
ومناه في الشدو شدو غريبٍ (٦) كلما اعتاده الهوى واستثاره
واحتسى دَرَّة الكروم أبو العباس (٧) والدَّجْنُ يستدر قُطاره
نادمته أبناء حمدون (٨) واستهواه بدرٌ (٩) حين اجتلى إبداره
ورَذاذٌ (١٠) موقّعٌ بغناء ينتحيه بصنعةٍ مختاره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المعتز أبو عبد الله بن جعفر المتوكل .
(٢) هو يونس غلامه وكان يفرط في الشغف به .
(٣) (ابن القصار : مغن بارع ومن أشهر الطنبوريين . والطنبار والطنبور واحد) .
(٤) هو محمد المهتدي بن هرون الواثق بالله .
(٥) هو أبو العباس احمد المعتمد بن جعفر المتوكل .
(٦) هي غريب المأمونية وكان معجباً بغنائها .
(٧) هو احمد المعتضد بن طلحة الموفق .
(٨) (آل حمدون جماعة نادموا الخلفاء كما في الفهرست لابن النديم) .
(٩) هو بدر الجلنار غلامه .
(١٠) (رذاذ : مغن ورد ذكره في الأغاني) .

واغتدى المكتفي [١] يمرح والصو [٢] لي يروي بربعه أشعاره
وأبو الفضل [٣] كان يرتع من رو ق صباه في جدة ونضاره
حرق الند والكبا الرطب والعنـ ـبر مستمتعاً وعاف ادخاره
وأقام الراضي [٤] يفرق ما بيـ ـن الندامى في كل وقت نثاره
رب كاس له بقبة شاذكلا وفي حجرة الرخام أداره
ونعيم والاه في حجرة الأتـ ـرج والماء قد أثار بخاره
ليت شعري أين استقل بنو بر مك [٥] من بعد ما تولوا الوزاره
حين كانت أيامهم غرر العيـ ـش وكانت أكفهم مدراره
والوزير المهلبي [٦] وما نو ل وابن العميد [٧] ترب الصداره
وكذا الصاحب [٨] بن عباد حيا ه وحيا نظامه ونثاره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) المكتفي هو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد .

(٢) (هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الأديب المشهور نادم المكتفي والمقتدر والراضي وكان أوحد زمانه في لعب الشطرنج) .

(٣) (هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد) .

(٤) الراضي هو أبو العباس القاهر بن جعفر .

(٥) وزراء الرشيد .

(٦) (يزيد بن محمد المهلبي وقد تقدم الكلام عليه) .

(٧) (أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الأديب المشهور) .

(٨) (الصاحب هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد صاحب ابن العميد ونظيره في الأدب والمنزلة والعمل) .

بل وأين السراة من آل حمدا ن[1] وما قد تخولوا في الإماره
أين أهل العراق والفرس ممن رفهوا عيشهم وخاضوا غماره
أين من بات رافعاً لبني اللهـــو والملهين بالتحـايا عماره[2]
أين من راح والمجاسد تردا ن عليـه بأعين النظّاره
طوقته المخانق البرميـا ت فكانت بين الظراف شماره
وتردت منـه العواتق بالمنديـــل مدراح عاقـداً زناره
توجوا رأسه بإكليـل آسٍ وأناطوا بجيـده تقصاره[3]
وعلى الأذن منه ريحانة من أذريون[4] كمن يروم سراره
أين من كان جانبُ الزهو مينا ساً لديه والعيش يندى غضاره
ينتحي مُنتحى المروات طلقاً في لذاذاته ويبدي افتراره
وترى عنـده مزمّلة[5] الما ء وخيش النسيم يعلو جداره
وسحاب البخور يهطل منـه ماء ورد يزجي النسيمُ قطاره

---

(١) (الأمراء الحمدانيون من أشهر أمرائهم سيف الدولة ممدوح المتنبي) .
(٢) (العَمارة بالفتح : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله) .
(٣) (التقصارة : قلادة شبيهة بالمخنقة) .
(٤) (أذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود) .
(٥) (المزمّلة : جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) ومروحة الخيش كشراع السفينة يعلقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء) .

أين من كان في فضاء من الغـــوطة [1] قدماً يجلي بهـا ابصاره
أين من بات ناعماً في مغاني شِعب [1] بَوّان ناشقاً أزهاره
أين من أطلق النواظر في صُغْـــد سمرقند [1] واجتلى أنواره
أين من حلَّ بالأُبُلَّة [1] قدما وجلا في رياضهـا أفكاره
أين من بات بالسَّماوة [2] في ميـــناف روض ينشـه أسراره
بنسيم يحـل في غلس الأســحار عن جيب نوره أزراره
حيث تندى مباسم الزهر فيه وتَلَقَّى أنفاســه زُوّاره
فسقت عهد من مضى أدمع المز ن وجادت بصوبها آثاره
ما سرت نسمة الصباح بروض عبقريٍّ فهيَّجت أطيـاره

خليل مردم بك

(١) (غوطة دمشق وشعب بوان وصغد سمرقند والأُبُلّة (في خليج البصرة) جنان الأرض الأربع وأجلها الغوطة كما في معجم البلدان) .
(٢) (السماوة بلدة على الفرات وبادية السماوة بين الكوفة والشام) .

الاصطلاحات الفلسفية

- ١ -

يشتمل هذا المقال على اصطلاحات فلسفية جمعناها من كتب الفلاسفة وكتب الحدود والتعريفات ومعاجم اللغة وقواميس الفلسفة ، وبينا اختلاف معانيها باختلاف الفلاسفة الذين تداولوها ، وذكرنا إلى جانب كل لفظ ما يقابله من الألفاظ اللاتينية والفرنسية والانكليزية . فنرجو أن يجد إخواننا في هذه الألفاظ المحددة المعرفة بغيتهم وأن يبينوا رأيهم فيها لعلنا نستطيع بعد الاطلاع على آرائهم أن نتمم تعريفاتنا ، ونوحد اصطلاحاتنا . فإن الاتفاق على اصطلاحات واحدة يفهم بها بعضنا عن بعض ضروري لنا في بداية نهضتنا العلمية الحديثة . وهو في نظرنا لا يقل خطورة عن الاختراع العلمي نفسه . فالألفاظ حصون المعاني ، والاصطلاحات نصف العلم ، وكل علم ليس فيه اصطلاح ثابت محدد إنما هو علم ناقص مبدّد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأبد

في اللاتينيـة	—	Aeternitas
في الفرنسية	—	Eternité
في الانكليزية	—	Eternity

الأبد في اللغة الدهر والدائم والقديم والأزلي ، والجمع آباد وأبود . وهو في الاصطلاح الزمان الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء ، أو المدة التي لا يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل ، أو الشيء الذي لا نهاية له .

والفلاسفة يفرقون بين الأبد الزماني والأبد اللازماني .

فالأبد الزماني هو المدة التي ليس لها حد محدود في الماضي والمستقبل ، أو الزمان القديم الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء . وهو بهذا المعنى صفة من صفات الله ، لأنه تعالى كان وسيكون دائماً . أما العالم الحادث الفاني فليس أبدياً ، لأنه لم يكن ولن يكون دائماً . وفلاسفة القرون الوسطى يقسمون الأبد الزماني قسمين ، فيسمون دوام الوجود في الماضي أزلاً (a parte ante) ، ودوام الوجود في المستقبل أبداً (a parte poste) . ولا فرق بين الأزل والأبد بالنسبة الى الله تعالى لأن أبده عين أزله ، وأزله عين أبده ، بل الأزل والأبد بالنسبة اليه صفتان أظهرتها الإضافة الزمانية لتعقل وجوب وجوده ، وإلا فلا أزل ، ولا أبد ، كان الله ولم يكن شيء معه .

أما الأبد اللازماني فهو المطلق أو الشيء الذي لا نهاية له . وهو مقابل للزمان . فكل حادث وكل موجود متناه هما في الزمان . أما الموجود الأبدي فليس حادثاً وليس له قبل ولا بعد ، بل هو الحاضر الأبدي (Duratio tota simul) ، وهو فوق الزمان . لقد كان الفلاسفة الايليون مثلاً يفرقون بين الوجود والكون ، فيقولون إن المطلق لا يوصف إلا بالوجود ، وان الأشياء المتناهية لا توصف إلا بالكون ، وانه ليس للوجود ماض ولا مستقبل ، ولكنه في حاضر لا يزول . فأخذ أفلاطون وأرسطو عنهم هذا الأصل وقالا إن الموجود الكامل لا يتكون ولا يتغير ، وهو واحد أبدي لا حركة ولا تعاقب في وجوده التام غير المنقسم ، ولا صلة له بالزمان . أما الموجودات غير الكاملة فتولد وتتغير وتتكون بدون انقطاع ، وهي في الزمان . وعلى ذلك فالفرق بين الأبد والزمان ليس بالرتبة والمقدار ، كالفرق الذي بين العدد الغير المتناهي والعدد المتناهي ، وإنما هو بالطبيعة ، لأن أحدهما غير منقسم والآخر منقسم الى غير نهاية . وليس بينهما مقياس مشترك . وعلى ذلك أيضاً يمكن أن يوصف العالم والزمان

بأنها لا ابتداء لها ولا انتهاء ولا يكونان مع ذلك أبديين ؛ لأنه يكفي أن يكون وجودهما مشتملاً على التبدل والتغير حتى يكون غير أبدي · هذا الذي أشار اليه أفلاطون بقوله ان الزمان صورة متحركة للأبدية غير المتحركة ، وهذا أيضاً ما ذهب اليه آرسطو عند استدلاله على وجود الله بوجود الحركة والتغير ، تخلص من ذلك الى القول بوجود محرك لا يتحرك · إن هذا الأبد اللازماني هو المعنى الذي أخذ به أيضاً القديس توما الاكويني وديكارت ومالبرانش وبوسويه وفنلون وليبنيز وكانت ·

والأبد والأمد متقاربان · لكن الأبد لا يتقيد فلا يقال أبد كذا ، والأمد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمان كذا ·

وأبداً ظرف زمان للتأكيد في المستقبل نفياً وإثباتاً ، فصار كقط والبتة في تأكيد الزمان الماضي يقال ما فعلت كذا قط والبتة ، ولا أفعله أبداً أو أفعله أبداً · ويقال أيضاً لا آتيه أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وآخر الأبد كناية عن المبالغة في التأبيد ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإبداع

في اللاتينية	Créatio
في الفرنسية	Craétion
في الانكليزية	Creation

الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق · وعند البلغاء اشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع ·

وله في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :

الأول : تأسيس الشيء عن الشيء ، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقاً كالابداع الفني ، والابداع العلمي ، أو كتخيل المبدع الذي نتكلم عنه في علم النفس ·

والثاني : إيجاد الشيء من لا شيء كإبداع الباري سبحانه ، فهو ليس بتركيب ولا تأليف ، وإنما هو إخراج من العدم الى الوجود . وفرقوا بين الإبداع والخلق ، فقالوا : الإبداع إيجاد الشي من لا شي ، والخلق إيجاد شي من شي . لذلك قال الله تعالى : بديع السموات والأرض ، ولم يقل بديع الانسان ، بل قال خلق الانسان ، فالابداع بهذا المعنى أعم من الخلق .

والثالث : إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ، ويقابله الصنع ، وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال (ابن سينا) في الاشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » (الإشارات ، النمط الخامس ، ص ١٥٣ من طبعة فورجت) . وهذا تنبيه الى أن كل مسبوق بعدم فهو مسبوق بمادة وزمان . والغرض منه كما قال (الطوسي) عكس نقيضه ، وهو أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان فلم يكن مسبوقاً بعدم . فالابداع هو إذن أن يكون من الشيء وجود لغيره دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان . كالعقل الأول في فلسفة (ابن سينا) فهو يصدر عن واجب الوجود دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى أعلى رتبة من التكوين والإحداث فان التكوين هو أن يكون من الشيء وجود مادي ، والإحداث أن يكون من الشيء وجود زماني . وكل واحد منهما يقابل الإبداع . فالتكوين يقابله لكونه مسبوقاً بالمادة ، والإحداث يقابله أيضاً لكونه مسبوقاً بالزمان . والإبداع أقدم منهما ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث . إذن التكوين والإحداث مترتبان على الإبداع ، وهو أقرب منهما الى الله .

والرابع : الإبداع الدائم (Création Continuée) . وهو عند الفلاسفة الأصوليين والديكارتيين الفعل الذي يبقي به الله العالم . وهو عين الفعل الذي

يخرجه به من العدم الى الوجود . فالله إذن مبدع ومبق ، لأنه إذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة . وهذا أيضاً يقابل التأليف ، لأن التأليف باقٍ وان أمسك المؤلف تأليفه ، أما الإبداع فهو إيجاد وإبقاء .

والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لا يحتاجون الى القول بإبداع العالم ، ولكن الذين يفرقون بين الله والعالم يقولون أن علاقة أحدهما بالآخر لا تعدو ثلاثة أحوال :

فاما أن يقال ان العالم قديم وان الله عالم بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . وهذا مذهب القائلين بالعناية الإلهية كابن سينا وغيره .

واما أن يقال ان لقدرة الله تأثيراً في مبدأ العالم من حيث انها تنظم المادة الموجودة سابقاً وترتبها كما يرتب الصانع إبداعه .

واما أن يقال ان لها تأثيراً في إخراج العالم من العدم الى الوجود . وهذا مذهب القائلين بالإبداع ، أعني القول إن الله ليس مؤلف نظام الأشياء ومرتب صورها فحسب وإنما هو مبدع مادتها أيضاً . ومعنى ذلك أن كل ما لم يكن موجوداً فقد صار بفعل قدرته تعالى موجوداً .

الإحساس

في اللاتينية Sensus

في الفرنسية Sensation

في الانكليزية Sensation

الإحساس ظاهرة نفسية متولدة من تأثر آلة من آلات الحس بمؤثر ما ، وله دلالات مختلفة تابعة لتحليل هذه الظاهرة تحليلاً كلياً أو جزئياً ، فإما أن يطلق على مجموع هذه الظاهرة ، وإما أن يطلق على جزء من أجزائها ، وهو على

كل حال ظاهرة أولية يتعذر عليك أن تظفر بها نقية خالصة مجردة من الشوائب ، ولكنك تستطيع أن تتقرب منها تقربك من حد نهائي . ويمكن أن يعتبر الإحساس ظاهرة مختلطة ، أي ظاهرة انفعالية وعقلية معاً ، فهو انفعالي لأنه عبارة عن تبدل في نفس المدرك ، وهو عقلي لأنه يشتمل على معرفة بالشيء الخارجي ، وينحصر معناه فيطلق على الناحية الانفعالية وحدها ، فيصبح بهذا المعنى الأخير مقابلاً للإدراك (راجع مادة إدراك) . قال ابن سينا : « فإني إنما أعرف أن لي قلباً ودماغاً بالإحساس والسماع والتجارب » (الشفاء ١ — ٣٦٣) ، وقال الجرجاني : « الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس ، فان كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات ، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات » (التعريفات) . وقال التهانوي : « الإحساس هو قسم من الإدراك ، وهو إدراك الشيء الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك مكنوفة بهيئات مخصوصة من الأين والكيف والكم والوضع وغيرها ، فلا بد له من ثلاثة أشياء : حضور المادة ، واكتناف الهيئات ، وكون المدرك جزئياً ، والحاصل ان الإحساس إدراك الشيء بالحواس الظاهرة على ما تدل عليه الشروط المذكورة » (الكشاف) .

والإحساسات الداخلية (Sensations internes) هي الاحساسات التي يعزوها المدرك الى بدنه لا إلى شيء خارج عنه ، كالجوع ، والعطش ، وآلام الرأس والأسنان ، والصداع وغيرها .

والحس (Sens) هو القوة التي بها تدرك الاحساسات ، والحواس هي آلات الحس . قال ابن سينا : « الحس إنما يحس شيئاً خارجاً ، ولا يحس ذاته ولا آلته ولا إحساسه » (الشفاء ١ — ٣٠٥ ، النجاة ٢٩٣ — ٢٩٤) . وقال أيضاً : (الحس إنما يدرك الجزئيات الشخصية » (النجاة ١٠١) ، وقال التهانوي : « الحس هو القوة المدركة النفسانية » (الكشاف) ، « والحواس هي المشاعر الخمس ، وهي البصر والسمع والذوق والشم واللمس » (الكشاف) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحسي أو المحسوس (Sensible) هو ما يدرك بالحواس . قال التهانوي : «الحسي هو المنسوب الى الحس ، فهو عند المتكلمين ما يدرك بالحس الظاهر ، وعند الحكماء ما يدرك بالحس الظاهر أو الباطن ، والحسي يسمّى محسوساً ، ويقابل الحسي العقلي» ، وقال أيضاً : «المحسوس هو الحسي أي المدرك بالحس» (الكشاف) ، وقد يطلق الحسي على الشيء المنسوب الى الاحساس أو على الشيء المؤلف من الاحساسات ، كقولنا الأفعال أو العمليات الحسية (Opérations sensitives) ، وقد يطلق أيضاً على الشيء المنسوب الى أعضاء الحس كقولنا الأعضاء الحسية (Organes sensoriels) .

والمذهب الحسي (Sensualisme) هو مذهب القائلين أن المعرفة لا تنشأ إلا عن الاحساس .

والحاس هو الشيء الذي يحس كقولنا الجهاز الحاس (Appareil sensitif) .

والحساسية أو قابلية الحس (Sensibilité) تدل على عدة معان :

آ — قوة الحس وهي بهذا المعنى مقابلة لقوة العقل .

ب — قوة الشعور بالأحوال الانفعالية كاللذات والآلام والميول والهيجانات والأهواء .

ج — دقة الإحساس .

والحساسية العامة (Sensibilité générale) هي ملكة الشعور بالاحساسات الداخلية ، أما الحساسية الخاصة (Sensibilité spéciale) فهي ملكة الشعور بالاحساسات الظاهرة المتولدة من مؤثرات خارجة عن البدن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإدراك

في اللاتينية Perceptio

في الفرنسية Perception

في الانكليزية Perception

الإدراك في اللغة هو اللحاق والوصول ، يقال أدرك الشيء بلغ وقته وانتهى ، وأدرك ثمر نضج ، وأدرك الولد بلغ ، وأدرك الشيء لحقه ، وأدرك المسألة علمها ، وأدرك الشيء ببصره رآه . فمن رأى شيئاً ورأى جوانبه ونهاياته قيل انه أدركه ، ويصح : رأيت الحبيب وما أدركه بصري ، ولا يصح أدركه بصري وما رأيته ، فيكون الإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية .

١ — وللإدراك في الفلسفة العربية عدة معان :

فهو يدل أولاً على حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً ، جزئياً أو كلياً ، حاضراً أو غائباً ، حاصلاً في ذات المدرك أو آلته : قال ابن سينا : « إدراك الشيء هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهدها ما به يدرك ، فإما أن تكون تلك الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك ، فتكون حقيقة ما لا وجود له بالفعل في الاعيان الخارجة مثل كثير من الأشكال الهندسية ، بل كثير من المفروضات التي لا تمكن إذا فرضت في الهندسة مما لا يتحقق أصلاً ، أو تكون مثال حقيقته مرتسماً في ذات المدرك غير مباين له ، وهو الباقي » (ابن سينا ، الاشارات ص ١٢٢) فالحقيقة المتمثلة عند المدرك ليست نفس حقيقة الشيء الخارجي ، وإنما هي مثال لها مرتسم في ذات المدرك . فاذا دل الادراك على تمثل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي أو إثبات سمي تصوراً ، واذا دل على تمثل حقيقة الشيء مع الحكم عليه بأحدهما سمي تصديقاً (الجرجاني ، التعريفات) .

والادراك بهذا المعنى مرادف للعلم ، وهو يتناول جميع القوى المدركة ، فيقال إدراك الحس ، وإدراك الخيال ، وإدراك الوهم ، وإدراك العقل . ولكن بعض الفلاسفة يحدد معنى الإدراك فيخصه بالإحساس وحده ، وحينئذ يكون أخص من العلم وقسماً منه ، كما أن بعضهم يوسع معناه فيطلقه على حضور صورة المشعور به في الشاعر ، أو يطلقه على الكمال الذي يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان . وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكاً (كليات أبي البقاء) .

وكما يتناول الإدراك الحس والخيال والوهم والعقل ، فكذلك يتناول معرفة أعلى من المعرفة العقلية ، وهي المعرفة الحاصلة من الكشف الباطني ، فيقال إدراك الذوق وإدراك الحدس . قال الغزالي : «وأما ما عدا ذلك من خواص النبوة إنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف» (المنقذ ـ ص ١٣٩) ، وقال أيضاً : «بل الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل ، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان ، والبصر عن إدراك الأصوات ، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات»

وفي اصطلاحات الصوفية الإدراك البسيط هو إدراك الوجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، والادراك المركب هو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الشعور بهذا الإدراك وبأن المدرك هو الوجود الحق سبحانه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) .

والإدراك عند معظم الفلاسفة إما أن يكون إدراك الجزئي أو إدراك الكلي ، وإدراك الجزئي قد يكون بحيث يتوقف على وجوده في الخارج وهو الحس ، أو لا يتوقف وهو الخيال . وإدراك الجزئي على وجه كلي هو إدراك كليه الذي ينحصر في ذلك الجزئي . أما إدراك الكلي فهو ان الاشخاص

الانسانية مثلاً متساوية في معنى الانسانية ومتباينة بأمور زائدة عليها كالطول والقصر والشكل واللون . وما به المشاركة غير ما به المخالفة ، فالانسانية من حيث هي هي تكون أمراً مغايراً لهذه الزوائد ، فادراكها من حيث هي هي هو المسمّى بالإدراك الكلي (لباب الإشارات للرازي ص ٧٤) .

٢ — أما في الفلسفة الحديثة فان الإدراك يدل أولاً على شعور الشخص بالإحساس أو بجملة من الاحساسات التي تنقلها اليه حواسه ، أو هو شعور الشخص بالمؤثر الخارجي والرد على هذا المؤثر بصورة موافقة . وهذا المعنى العام يدل على أن الادراك يختلف عن الاحساس . فالظاهرة النفسية التي تحصل في ذات المدرك عند تأثر أحد أعضاء الحس تشتمل على وجهين أحدهما انفعالي (Affective) والآخر عقلي (Intellectuelle) ، فاذا تناول الشعور هذه الظاهرة من ناحيتها الانفعالية سميت إحساساً وإذا تناولها من ناحيتها العقلية سميت إدراكاً . فليس الإدراك والاحساس إذن ظاهرتين مختلفتين ، وإنما هما وجهان مختلفان لظاهرة واحدة . ولكن بعض الفلاسفة يطلق لفظ الإحساس على هذه الظاهرة بوجهيها ، فيكون الإحساس حالة انفعالية وعقلية معاً ، ويكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم عليه بأنه ناشئ عن مؤثر خارجي . فالادراك بهذا المعنى هو الادراك الخارجي (Perception exterieure) كما يقول (ريد Reid) والايكوسيون ، أو هو الاحساس المصحوب بالانتباه كما يقول (مين دوبيران Maine de Biran) . والواقع أن الاحساس والادراك كليهما مصطبغان بلون انفعالي وعقلي معاً ، ولكن الادراك يزيد على الاحساس بأن آلة الحس تكون فيه أشد فعلاً ، والنفس أكثر انتباهاً ، فيكون الشيء الخارجي أبين والصورة المرتسمة في النفس أوضح وأميز . وعلى كل حال فالادراك يقتضي الاحساس ، فإما أن يطلق على الشعور بالاحساس ويكون عند ذلك حالة عقلية ، ويكون الاحساس حالة انفعالية . وإما أن يكون الاحساس دالاً على الشعور بالتغير

الذي أحدثه المؤثر في النفس فيكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم على ذلك الاحساس بأنه ناشئ عن سبب خارجي ، أو يكون عبارة عن الاحساس المصحوب بجهد الانتباه .

وكما يختلف الادراك عن الاحساس فكذلك يختلف عن العاطفة ، لأن الادراك كما يقولون حالة عقلية والعاطفة حالة وجدانية انفعالية ، وهذا الفرق بين الادراك والعاطفة تناوله (ليبنيز) في مذهبه على وجه أتم وأوفى قال : « ان الحالة الموقتة التي تنطوي على كثرة في الوحدة ، ليست سوى الشيء الذي يسمى إدراكاً بسيطاً (Perception) ويجب تمييزها عن الادراك المركب (Aperception) أو الشعور » (المنادولوجيا فقرة ١٤) . فالادراك البسيط عند ليبنيز هو التبدل الذي يحدث في (المناد) وهو يهب (المناد) فرديته وذاتيته ويجمع الكثرة فيه الى الوحدة ، والاشتهاء (Appétition) هو القوة الداخلية أو النزوع الذي يولد الادراكات ، والادراك المركب هو الشعور بالادركات البسيطة . ولذلك كان للادراك عند (ليبنيز) درجات أعلاها الادراك المركب أو الادراك المميز الواضح ، وأدناها الادراك المبهم الغامض ، وهو ما يسميه (ليبنيز) بالإدراك غير المحسوس (Perception insensible) .

والادراك في الاصطلاح الديكارتي يطلق على جميع أفعال العقل وهو مقابل للارادة والرغبة . قال ديكارت : « إن فينا نوعين من الأفكار هما إدراك العقل وفعل الارادة » (المبادي ، القسم الأول ، ٣٢) . وكلمة (أفكار) تدل عنده على ما نسميه اليوم بحوادث الشعور .

وقد يطلق لفظ الادراك على القوة المدركة (Faculté de percevoir) أو على فعل الادراك (Acte de percevoir) أو على المعرفة (Connaissance) التي تنتج من هذا الفعل .

وكما يكون الادراك خارجياً (Perception externe) فكذلك يكون داخلياً (Perception interne) والمقصود من هذا الادراك الداخلي هو الشعور أي معرفة النفس بأحوالها .

وفرقوا بين الادراكات الطبيعية (Perceptions naturelles) والادراكات المكتسبة (Perceptions acquises) فقالوا : الادراكات الطبيعية هي المعارف التي تنشأ مباشرة عن فعل أعضاء الحس ، كرؤية الألوان ، فهي إدراك طبيعي لحاسة البصر ، أما الادراكات المكتسبة فهي المعارف التي تتولد في النفس من تربية الحواس . ان هذه الادراكات المكتسبة ليست في الحقيقة ادراكات ، وإنما هي أحكام وتأويلات ، ولولا هذه الأحكام التي نستنبطها من منظر الجسم ونواحيه المضيئة والمظلمة وتغيرات هيئته المقابلة لحركاته ، وتقارب محوري العينين بالنسبة اليه ، وعدم تطابق الصورتين الشبكيتين المتولدتين منه لما أدركنا المسافة ولا التحديب والتقعير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن اصطلاحات ليبنيز الادراكات الصماء (Perceptions sourdes) ، والادراكات الغامضة (Perceptions obscures) ، والادراكات غير المدركة (Perceptions inapercues)، والادراكات الصغيرة (Petites perceptions) .

والمحدثون يطلقون الادراك على تمثل الشيء الخارجي وحده ، فيقولون ان الادراك هو الفعل الذي ينظّم به المدرك إحساساته الحاضرة ، فيؤولها ويكملها بالصور والذكريات ، ثم يعزوها الى شيء مقاوم له مع الحكم عليه حكماً عفوياً بأنه شيء خارجي معلوم عنده ومتميز عنه .

(يتبع) جميل صليبا

———

حريق

الجامع الأموي بدمشق

سنة ٧٤٠ هـ

من الحوادث ذات الشأن في تاريخ دمشق، ما كان يُصاب به المسجد الجامع بها من حريق. فلقد أحرقه المصريون متعمدين سنة احدى وستين وأربع مئة بغضاً بالدماشقة الشاميين وحقداً على خلفائهم الأمويين. ففقد المسجد بهجته ونضارته، ورونقه وتزويقه [1] ثم جهد الملوك من السلاجقة، والنوريين، والأيوبيين، والمماليك، في إعادة المسجد الى سالف عهده [2]، وعُني بعض الولاة بتجديده [3]. حتى اذا كانت سنة ٧٤٠ هـ أصيب المسجد بحريق كبير أتلف قسماً منه، وأخذ ما يحيط به شرقاً وجنوباً، من القيساريات، والمدارس، والأسواق. وقد كان لهذا الحريق أثر كبير في نفوس الفقهاء والعلماء، والأدباء والشعراء، وسنتكلم على ذلك، ونتج عنه نتائج مزعجة. وقد لا يوازي هذين الحريقين في عظمها إلا الحريق الأخير الذي أتلف المسجد في أيام العثمانيين. وقع حريق سنة ٧٤٠ هـ في السنة الأخيرة من ولاية تنكز [4]. في السادس

(١) عن حريق سنة ٤٦١ انظر: القلانسي، تاريخ ص ٩٦، ٩٧؛ ابن كثير، البداية ١٢: ٩٧ - ٩٨

(٢) انظر أعمال هولاء الملوك في كتابنا «مسجد دمشق» ص ١٣ وما بعدها.

(٣) مثل تنكز سنة ٧٣٠ هـ. انظر المصدر السابق

(٤) ولي تنكز دمشق سنة ٧١٢ هـ وبقي الى أواخر سنة ٧٤٠. انظر كتابنا: أمراء دمشق في الإسلام ص ٢٢

عشر من شهر شوال ، شب [1] الحريق أوائل الليل ، بقيسارية الدهشة بسوق اللبادين . وكانت هذه القيسارية أمام باب الجامع الشرقي ، فتوصلت النار الى دكان فقاعي مجاورة للباب الشرقي - أي باب الساعات ، أو باب جيرون - ، ثم كشفت وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر - وهو الذي في شرق المصلى - ، ثم شبت فبلغت أعلى المأذنة الشرقية فاشتعلت ناراً وتفجرت أحجارها ، ثم سقطت على سقف المسجد الجملون ، حتى كادت تأخذ المسجد كله . فسارع الناس ، والعسكر جميعه ، وأمراء الألوف ، وعلى رأسهم تنكز إلى إخماد النار . فما خمدت إلا بعد يومين وليلتين .

وبعد ليال - على قول ابن كثير [2] - أو أسبوعين - على قول المقريزي [3] - ، وقع حريق ثان في قيسارية القواسين ، والكفتيين ، وسوق الخيل . وكانت هذه كلها في جنوب الجامع . مقابل باب الزيادة - ويسمى باب الساعات أيضاً ، وباب العنبرانيين - ، فكانت الخسارة جسيمة عظيمة : عدم خمسة وثلاثون ألف قوس ، وعدمت للناس أموال عظيمة كان مبلغ ما للتجار منها خاصة ألف ألف ومئة ألف دينار . ثم لفت النار حول قيسارية القواسين فاحترقت المدرسة الأمينية - وكان بها سلاح للمسلمين - ، والخيميين ، وجاء نائب الشام تنكز والعسكر فأطفأوا النار في يومين وليلتين .

أثار نشوب هذين الحريقين المتواليين حول المسجد ، الشك في نفوس الناس والاستغراب ، فطفقوا يتساءلون عن الأسباب ، ولم يلبث أن وجدت ورقة

---

(١) مصادرنا عن هذا الحريق هي : ابن كثير ، البداية ١٤ : ١٨٦ ؛ المفضل بن أبي الفضائل ، (مخطوطة باريز 4525) ؛ المقريزي ، السلوك ٢/١/٤٩٧ ؛ ابن فضل الله ، مسالك الأبصار ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ ابن العماد ، شذرات ٦ : ١٢٦

(٢) البداية ، المصدر السابق

(٣) السلوك ، المصدر السابق

كتبها مجهول اسمه «المملوك الناصح» يذكر فيها أن الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش . فأُمسك وسئل . وما زالوا به حتى أخبرهم بالأمر . وتبيّن أن جماعة من رؤوس النصارى ، بعضهم من كتّاب الدولة وعمّالها ، دبّروا أمر هذين الحريقين .

وقد عثرنا على نصّ المحضر ـ الذي كُتب يومئذ وأُرسل الى سلطان مصر ـ في مكتبة جامعة ليدن (١) . وهو نصّ مهم جدًّا (٢) ، لأنه يُظهر لنا كيف تآمر هؤلاء الكتّاب ، وأحرقوا المسجد . وثمّة ناحية ثانية تزيد في شأنه هي أنه نصّ رسمي ، حكومي . والوثائق المماثلة له نادرة جداً .

ويتبين مما جاء في المحضر ، ومما ذكره المقريزي وابن كثير ، أن راهبين وردا الى دمشق من قسطنطينية « ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها ، وقد باعا نفسيهما على ذلك » ، اسم الأول « ميلاني » واسم الثاني « عازر » . فاجتمعا بعامل الجيش وكاتب الحوطات ، وثالث كان كاتب بهادر أص (٣) . والثلاثة من النصارى . وكان « ميلاني » عارفاً « بصناعة النفط والنار » ، فاتفقوا « على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق » ، وقدّم لهم عامل الجيش ما يحتاجون اليه من نفط وغيره ، فعملوا سبع كعكات حشوها باروداً ونفطاً ودقّ فحم وغير ذلك ، وغيّر الراهبان ملابسهما ، وأتيا الدهشة ، فتحيّل أحدهما وجعل إحدى الكعكات في دكان شرقي القيسارية ، ثم ألقى كعكة ثانية بين الدراريب ، ثم عادا الى حيث نزلا : في بستان بقرية بجوبر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ليدن Cod. Or. 951

(٢) انظر المحضر في ذيل المقال

(٣) كان بهادر أص من أمراء الألوف بدمشق . وله تربة تعرف به . مات سنة ٧٣٠ . انظر الثاني من الدارس

ويذكر ابن كثير «أنها تلطفا وعملا النفط لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر» . فلما كان الليل لم يشعر الناس إلا والنار عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق وكان ما كان من أمر الحريق الأول .

أما الحريق الثاني فقد تم على يد لحام نصراني كانت له دكان على باب قيسارية القواسين ، فقد دفعت الجماعة له خمس مئة درهم كي يضع كعكة من كعكات النفط في سقف الدكان ، فوضعها فشب الحريق الثاني .

-٢-

ونتساءل الآن لماذا وقع هذان الحريقان ، ومن دبر أمرهما .

الظاهر أن الهدف كان الإضرار بمسلمي دمشق بإتلاف أموالهم وتخريب مسجدهم . وقد كان النصارى يلجأون الى الحريق أحياناً بقصد الاضرار . وفي تاريخ مصر حوادث كثيرة تدل على ذلك . ففي سنة ثلاث وستين وست مئة ، أيام الظاهر بيبرس ، كثر الحريق في القاهرة ، واحترقت حارة الباطلية بأمرها ، وتبين أن النصارى هم الذين فعلوا ذلك[1] . وفي أيام الملك الناصر محمد ، سنة احدى وعشرين وسبع مئة قبض على راهبين من دير البغل رميا النار في المدرسة الهكارية ، واعترفا أنهما أحرقا أماكن كثيرة في القاهرة[2] . وقد اتبع هذان الراهبان الطريقة التي سلكها راهبا دمشق ، من صنع الكعكات المحشوة بالخرق والنفط والقطران . ولعل هذه أول مرة يعمد فيها

(١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ١ : ٨

(٢) المقريزي ، السلوك ٢/١/٢٢٣

النصارى الى إحراق دمشق ومسجدها[١] . وقد سبقوا في حريق القاهرة[٢] .

وقد جاء في المحضر أن الراهبين اللذين أحرقا مسجد دمشق أتيا من القسطنطينية . ويذكر المقريزي أنهما أتيا ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها . ويوضح ابن كثير – وقد كان أثناء الحريق بدمشق – «ان جماعة من رؤوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم ، وجمعوا من بينهم مالاً فدفعوه للراهبين» . ولا شك أن من بين الرؤوس الذين يشير إليهم ابن كثير الموظفين الرسميّين الذين ورد ذكرهم في المحضر كعامل الجيش وكاتب الحوطات . ويخيّل لنا انه كانت صلة بين بعض نصارى البلاد – سواء في مصر أو الشام – ، وبين بعض الدول النصرانية ، فالمحضر يذكر أنّ الراهبين كتبا بعد الحريق الأول الى صاحب سيس يبلّغانه أمر الحريق ، وان صاحب سيس أرسل لهما الى دمشق نفرين وعرض عليهما إذا شاءا أن يكتب لصاحب السرب ليُكاتب السلطان . واذا كان المحضر لا يفصح عن غرض المكاتبة الى السلطان فإنه واضح أن ذلك من أجل حماية النصارى أو حماية الراهبين . ثم إن المحضر يشير الى عامل بيروت ، وكانت مهمته تجهيز الراهبين الى قبرص . كل ذلك يدفعنا الى الاعتقاد انه كانت سلسلة لها حلقات في سيس وقبرص وبيروت والقدس ودمشق والقاهرة ، تيسّر الإضرار بالمسلمين ، وتسهّل سبله . وكل ذلك من آثار الروح الصليبيّة التي كانت منتشرة يومئذ[٣] .

(١) بين حريق المسجد سنة ٤٦١ وحريقه سنة ٧٤٠ ، وقع فيه الحريق أو حوله أربع مرات : سنة ٥٦٢ ، وسنة ٥٧٠ ، وسنة ٦٤٦ ، وسنة ٦٨١ ، ولم تذكر المصادر أن النصارى هي التي سببت ذلك . انظر كتابنا «مسجد دمشق» والمصادر المذكورة فيه

(٢) انظر تفصيل مؤامرة رهبان دير البغل لحرق القاهرة في كتاب «اهل الذمة في الإسلام» تأليف «ترتون» الفصل الرابع

(٣) انظر : A. S. Atiya, *The Crusades in the Later Middle Ages* (London, 1938)

-٣-

ماذا حدث بعد الحريق ؟

يبدو أن الراهبين فرا الى قبرص بوساطة عامل ببيروت . أما نائب السلطان تنكز ، فلما تحقق لديه أن الحريق من فعل النصارى أمسك من رؤوسهم نحواً من ستين رجلاً - على قول ابن كثير - . ووجهت فتيا الى قضاة القضاة الأربعة بدمشق : تقي الدين السبكي الشافعي ، وعماد الدين الطرسوسي الحنفي ، ومحمد ابن أبي بكر المالكي ، وعلي بن المنجا الحنبلي ، سئلوا فيها إذا كان النصارى قد نقض عهدهم بما فعلوه ؟ وهل يلزمهم ضمان ما أتلفوه ؟ وهل يُقتلون أو ينفون ؟ الى غير ذلك . فأجمعوا على أن عهدهم ينتقض ، وأن أموالهم تؤخذ ، وأفتى الحنفي بقتلهم سياسة ، والمالكي بقتلهم لنقض العهد ، وسكت عن أمر القتل الشافعي والحنبلي . وقد عثرنا على نص الفتوى وأجوبة القضاة في مكتبة جامعة ليدن . وهي وثيقة هامة لها شأن[1] .

وعمد عندئذ تنكز - على قول ابن كثير - الى رؤساء النصارى هؤلاء فأخذهم بالمصادرات والعقوبات وأنواع المثلات ، وصلب منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد ، فجعلوا يتماوتون واحداً بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار[2] .

ويروي المفضّل ابن أبي الفضائل - وهو مؤرخ نصراني[3] - رواية ثانية نقلها

(١) انظر نصها في ذيل المقال

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ١٨٦

(٣) كان في القرن الثامن . له تاريخ اسمه « النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » منه نسخة مخطوطة في باريز ، الجزء الأول رقم 4525 . انتهى من جمعه سنة ٧٥٩ . وعلى هذه النسخة اعتمدنا . وما رويناه من النسخة مذكور في الورقة ٢٤٥ ب

عنه المقريزي بنصّها ولم يشر اليه [١] . فيذكر أن تنكز سمّر أحد عشر رجلاً هم : المكين يوسف بن مجلي عامل الجيش ، وأخوه ، والمكين جرجس كاتب الحوطات ، والمكين [يوسف] كاتب بهادرأص ، وسمعان ، وأخوه بشارة ، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار ، والعلم الدميتري عامل بيروت ، والجرائحي عيسى ، وجزاران نصرانيان ، وشخص يُعرف بسبيل الله [٢] . ولما سمّروا وُسّطوا بعد يومين . ووُجد لهم ما ينيف على ألف ألف درهم أُنفق منها على عمارة الجامع [٣] والدهشة » .

واذا كان عمل تنكز قد أرضى المسلمين فإنه أغضب السلطان الناصر محمداً ، فكتب الى تنكز يُنكر عليه قتله النصارى ، وإن في ذلك إغراء لأهل القسطنطينية بمن يَرِد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، وأمره أن يحمل اليه ما وجد من المال مع النصارى ، وأن يجهز اليه بناته اللاتي عُقد لأولاد السلطان عليهن . فأجاب تنكز أنّ المال الذي وُجد للنصارى صُرف على عمارة الجامع ، واعتذر عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أُحرق . فلم يرضَ السلطان . وكان ذلك بدء تغيّره عليه وعزله بعد شهر من ذلك وحمله مقيداً الى الاسكندرية ثم قتله هناك .

(١) في السلوك ٢/١/٤٩٧ . وقد أغار المقريزي على كتاب المفضل كما أغار على كتب الأوحدي

(٢) يذكر المفضّل أن هذا الرجل كان بالقاهرة سنة ٧٢٥ هـ بزي غريب جداً ، يلبس جلداً ويحمل على كتفه زيراً نحاساً أندلسياً ، وبيده شربات كذلك ، ويقول بلسان غتمي (عجمي) « سبيل الله » ، ويسقي الناس بغير جُعل . فمن الناس من اعتقده ، ومنهم من اتهم انه جاسوس . ثم خرج حاجاً وقدم دمشق وأقام يسقي بها اناه حتى دخل مع النصارى فيما قاموا به من أمر الحريق . المصدر السابق . وكذا المقريزي

(٣) انظر وصف إعادة عمارة المنارة عند العمري ، مسالك ص ٢٠٠ و ٢٠١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٤ -

ذلك مجمل خبر الحريق من الناحية الرسمية الحكومية ، وما أحاط به . ولا بُدَّ من التنويه بأثر آخر من آثاره هو الأثر الأدبي . فقد هزَّ الأدباء والشعراء فنظموا وكتبوا عنه . فمما عرفتُه كتاب ابن غانم الذي كتبه عن تنكز لنائب طرابلس ووصف الحريق فيه . ولم أعثر على نصه (١) . ونظم محمد الخياط قصيدة رائية في (٦١) بيتاً ، عثرت عليها (٢) . وألَّف الصلاح الصفدي مقامةً سماها « رشف الرحيق في وصف الحريق » (٣) . وكذلك ألَّف ابن الوردي مقامةً ثانية سمَّاها « صفو الرحيق في وصف الحريق » (٤) . وقصيدة الخياط ومقامتا الصفدي وابن الوردي جديرة كلها بالنشر .

(القاهرة) الدكتور صلاح الدين المنجد

---

(١) ورد ذكره في مسالك الأبصار ص ٢٠٢

(٢) في مكتبة جامعة ليدن ، وعندنا صورة عنها

(٣) منها نسخة في الاسكوريال ضمن كناش رقمه 524 ، وعندنا صورة عنها

(٤) منها نسخة في معهد المخطوطات مصورة عن دار الكتب المصرية . رقم معهد المخطوطات ٧٨٩ أدب . ومنها نسخة ثانية في توبنجن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ١ -

صورة المحضر الذي كتب بدمشق المحروسة

(مكتبة ليدن ، Cod. Or. 951)

حضر الى شهوده يوم تاريخه : الرشيد سلامة بن سليمان بن مُرَجّى النصراني كاتب المقرّ العلمي سنجر الجمقدار الملكي الناصري ، وشهوده به عارفون ، وأشهد على نفسه طائعاً أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر عنده في بستانه المكين يوسف بن محلي النصراني عامل الجيش ، والمكين جرجس بن أبي الكرم كاتب الحوطات ؛ والمكين يوسف النصراني الراكبلي كاتب بهادر اص كان ، وأحضروا معهم راهبين أحدهما يسمى «ميلاني» - يعرف صناعة النفط - ، والآخر يسمّى «عازر» ، وذكروا أنّ الراهبين المذكورين حضرا من بلاد قسطنطينيّة ، ثم انهم تحادثوا أن الراهب المسمّى «ميلاني» يعرف صناعة النفط والنار ، واتفقوا على حريق ما يقدروا (كذا) عليه من أماكن المسلمين بدمشق المحروسة ، ثم إنهم توجهوا بعد ذلك الى بستان المكين يوسف الراكبلي بجوبر ، وأقام الراهبان المذكوران عنده في طبقة على باب البستان المذكور ، وأحضر لهم المكين عامل الجيش ما أرادوا من النفط والحوائج ، وعملوا سبع كعكات محشوة بارودا ونفطا ودقّ فحم وغير ذلك مما يعرفوه (كذا) ، وألبسوا الراهبين المذكورين قباءين تتربة ، وتخفيفتين بيض ، وهورات ، ثم نزلا من البستان المذكور ، ودخلا الى الدهشة الأموية ، وقعد أحدهما على دكان شرقيّ القيسارية وعدّ على باب الدكان فلوساً ، وتحيّل حتى أدخل كعكة واحدة من تلك الكعكات ، ثم خرجا الى قصبة السوق البرّاني واشتريا قباء برد (؟) ، ثم بسطا القباء على أنها يطويانه فانبسط أحدهما الى الدكان وألقى كعكة ثانيـة بين الدراريب ،

وركبا من باب الفراديس دابتين وطلعا الى البستان المشار اليه وأخبرا بما فعلاه ·
وفي تلك الليلة احترق الحريق الأول · ثم إن المكين الراكبلي كتب ورقة وأرسلها الى (ا آ) المكين عامل الجيش والمكين جرجس عرفهما بصورة الحال · ثم كتب الى الحاضر المسمّى أعلاه المشهود عليه ، وهو الرشيد ، ورقة وأرسلها مع مملوكه مبارك يعرّفه من جهة دراهم لناظر الجيش ، وفي آخر الورقة أن الشغل قد انقضى ، ثم إنهم كتبوا لهما كتاباً الى العلم الدميتري عامل ببروت أن يجتهد في تجهيزهما ويركبهما من البحر الى قبرص ومنها الى البلاد · ثم إنهم بعد ذلك أحضروا عيسى الجرائحي المعروف بابن ريش الروقة ، ووافقوه على أنه يتحيّل في إدخال النار الى داخل دكان الحمام المستجدة على باب قيسارية القواسين ، وواعدوه بخمسمائة درهم قبض منها ثلاث مئة ، وأخذ كعكة ثالثة واستمال النصراني ساكن الدكان حتى وضع الكعكة في سقف الدكان · وفي تلك الليلة احترق الحريق الثاني ، وهو قيسارية القواسين وما معها · ثم إنهم دفعوا خمسمائة درهم لمخلوف النصراني الطوّاف على أنه يرمي حراريق دهن بأقطار البلد لينفي عنهم الظن بذلك · ثم إنه حضر عندهم نفران من سيس معهم كتاب صاحب سيس يعرفهم انه بلغه خراب ما حول الكنيسة فإن كانوا يختاروا (كذا) أن يكتب الى صاحب السرب يكاتب مولانا السلطان الملك الناصر في ذلك يعرّفوه وفيه فصول كثيرة · فتجهّز النفران المذكوران الى القدس الشريف فلما قدما كتبوا لهما كتاباً من يوسف الراكبلي الى صهره المسمى بطرس كاتب المقر العالي طنبغا حاجي بقربة ريحا بالوصية بهما وإكرامهما ، وكتبوا كتاباً الى صاحب سيس قبل الحريق الثاني يعرفوه (كذا) بالأول ، وفيه فصول كثيرة · وكتبوا فيه بالرد لمماليك لداخلة (؟) دمشق يعنوا (كذا) بذلك أكابر النصارى بدمشق ·
وهذه صورة ما أقر به الحاضر المسمّى أعلاه من غير زيادة ولا نقصان · والله المستعان ·

في تاسع ذي القعدة سنة أربعين وسبعمائة ·

- ٢ -

الله الموفق

صورة الفتيـا

(مكتبة ليدن Cod. Or. 951)

ما قولُ أئمة المسلمين فيما اعتمده النصارى بدمشق المحروسة ، وحريق أوقاف الجامع الأموي عمره الله تعالى بذكره ، وحريق المأذنة الشرقية ، وأوقاف المدرسة الأمينية ، وما بها من صلاح المسلمين ، وغير ذلك من الأموالـــ .

هل يُنقض بذلك عهدهم ، وهل يلزمهم ضمان ما تلف بالحريق ، ويؤخذ ذلك من أموالهم ؟ وإذا انتقض عهدهم فما الحكم فيهم : هل يُقتلون أو يُنفَوْن الى بلاد النصارى ؟ وإذا كان متوليهم (كذا) وكبارهم ورؤساؤهم شارطوا على حريق الجامع المذكور وحريق دمشق المحروسة بمال معلوم ، واعترفوا بذلك ، فهل يجب على هؤلاء المتولين المستأجرين الضمان أم لا ؟ وهل ينقض عهدهم أم لا ؟ وإذا أسلم أحدهم فهل يصح إسلامه أم لا ؟ وإذا صح إسلامه فهل يصح إسلامه خاصة ؟ أو دمه وماله ، وهل ينجيه إسلامه من الضمان بسبب الحريق أم لا ؟ وإذا كان لهم كبير وهو غائب عن البلد ، وهم يعتقدونه ولا يرون مخالفته وأمرهم بما فعلوه ، فهل ينتقض عهده أم لا ؟

أفتونا مأجورين .

جواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي (١)

ينتقض عهدهم ، وتؤخذ أموالهم ، ولولي الأمر ، أعزه الله تعالى ، صرفها في عوض ما تلف بالحريق المذكور منهم من وقف وعقار وقماش وغير ذلك من الأموال ويثاب أعزه الله تعالى على ذلك . والله أعلم (٢) . كتبه علي السبكي .

جواب الحنفيّة

نعم ، يلزمهم ضمان ما أتلفوه من الأموال والعقار والسلاح وغير ذلك . وإذا كانوا قد سعوا في الأرض بالفساد فللإمام أن يقتلهم سياسة ، وله إجلاؤهم عن أماكنهم الى موضع يراه الإمام من دار الإسلام ، ويكون ذلك مانعاً من فسادهم . واسلام مَنْ أسلم منهم لا يكون موجباً لسقوط ما وجب عليه (١ ب) من حقوق العباد من مال أو قتل . والله أعلم (٣) .

جواب المالكيّة

الجواب وبالله التوفيق

الحريق المذكور موجب لنقض العهد ممن صدر منه . ونقضُ العهد موجب للقتل . ومعلوم ما اشتمل عليه الفعل المذكور من المفاسد من خراب المأذنة والأوقاف وإتلاف السلاح المستعدّ للتقوّي على العدوّ المخذول ، وما قصد من

(١) أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قاضي قضاة الشافعية بدمشق . توفي سنة ٧٥٦ . انظر شذرات الذهب ٦ : ١٨٠ .

(٢) لم أجد نص هذه الفتيا في فتاوى السبكي المطبوعة .

(٣) ليس في الأصل اسم قاضي قضاة الحنفية . وقد كان يومئذ عماد الدين الطرسوسي الحنفي ، وهو علي بن أحمد . توفي سنة ٧٤٨ (قضاة دمشق لابن طولون ، مخطوط ورقة ١٣٨)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إتلاف المسلمين وأموالهم وخراب مدينتهم وأماكنهم ، وما في إظهار ذلك من القوة والجرأة على هذه الدولة القاهرة خلّد الله ملك مالكها ، وأدام اقتداره وأعزّ أنصاره وأهلك عدوّه ، ثم ذلك موجب لتضمين ما أتلفوه ، وأخذ ذلك من أموالهم ، ويُمنعون من الرجوع الى بلادهم ومساكنهم ونسائهم وكبارهم ، ومَنْ استأجروهم ، ومَنْ تواطأ معهم في الغرم ونقض العهد ، ولا يكون إسلام من أسلم موجباً لسقوط الضمان ، ولا مانعاً من أخذ أموالهم ، وإنما يكون موجباً لحقن دمهم إذا تبيّن صحة إسلامهم ، وينتقض عهد من أمرهم بذلك من له عهد ، ويصير حربياً . والله أعلم .

كتبه محمد بن أبي بكر المالكي (١) .

جواب الحنابلة

نعم ينتقض عهدهم بذلك ، ويتعين قتلهم ويلزمهم ضمان ما أتلفوه بذلك من الأوقاف والأموال وغيرها ، ولا يكون إسلامهم مانعاً من ذلك (٢ آ) وما بعد ذلك من أموالهم يكون فيئاً للمسلمين ، ومن واطأ على شيء مما ذكر وأعان عليه بوجه من الوجوه أو علم به ولم يُعلِم به المسلمين انتقض عهده أيضاً . والله أعلم .

كتبه عليّ بن المنجا الحنبلي (٢) .

---

(١) هو شرف الدين محمد بن أبي بكر الهمداني المالكي ، قاضي قضاة المالكية . توفي سنة ٧٤٨ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١٤ : ٢٢١

(٢) علي بن المنجا ، قاضي قضاة الحنابلة . توفي سنة ٧٥٠ ، انظر شذرات الذهب ، ٦ : ١٦٧

كتاب الموجز

في علم القوافي

تأليف كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

نشرنا في الجزء الماضي من هذه المجلة (المجلد ٣٠ ، الجزء ٤ ص ص ٥٩٠ — ٦٠٧ و ص ٦٩٥) كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، ووطأنا له بكلمة موجزة ألممنا فيها بترجمة المؤلف وعصره وموضوعات كتبه المطولة والمختصرة .

وقد ذكرنا في تلك المقدمة أن للأنباري كتاباً آخر في علم القافية ، أحال إليه في خاتمة (اللمعة في صنعة الشعر) وسماه : الموجز في علم القوافي [1] ، وأشار اليه بعض من ترجموا الأنباري ؛ فالسيوطي يثبت له في (بغية الوعاة) كتاب (الموجز في القوافي) وحاجي خليفة يذكر له في (كشف الظنون)

---

(١) أشار الأنباري في خاتمة كتابه (اللمعة) إلى هذا الموجز وذلك في أثناء كلامه على التضمين (ص ٦٠٧) فقد عرّفه وقسمه إلى ضربين : أحدهما يدخل في صنعة الشعر ومثّل له بشيء من شعر العرب ، وثانيهما لا يدخل في صنعة الشعر وقد عرّفه ولم يمثل له وذكر انه بيّنه في كتابه (الموجز في علم القوافي) . وفي خاتمة (الموجز) الذي ننشره هنا كلمة في التضمين ، اقتصر الأنباري في تعريفه إياه على ما أورده في الضرب الثاني من التضمين في اللمعة ، وضرب له مثالاً من الشعر . فالأنباري كما ترى ، منسق لفكرته ، ذكور لما قال في كتبه ، بعيد عن الحشو والتكرار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب (الموجز في القوافي) ويورد أول هذا الكتاب : الحمد لله على ما خفي من نعمه ۰۰۰۰ وگوتهولد ڤايل – في المقدمة التي صدّر بها كتاب الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف) وأحصى فيها ما سمع به من تصانيف المؤلف – يشير في ص ٩٧ إلى (شرحه الموجز في القوافي) ۰۰۰۰

وقد ورد إلى المجمع العلمي العربي تصاوير تسع رسائل مخطوطة للأنباري (أشرنا إليها في ص ٦٩٥ من الجزء الماضي لهذه المجلة) ومنها مخطوط (كتاب الموجز في علم القوافي) ، وأوله يطابق ما ذكره حاجي خليفة في كلامه عليه . وجاء هذا المخطوط في الصفحة الثانية من الورقة ١٠٦ وفي صفحتي الورقة ١٠٧ من مجموع الرسائل ، فهو في ثلاث صفحات قسمت أولياها ثلاثة أجزاء : أصل في الوسط وهامش في أعلى الصفحة وجانبها وأسفلها بسطور مائلة ، أما الصفحة الثالثة فتخلو من الهامش ، والنص متساوق في الأصل والهامش . ولا تجاوز سطور المخطوط خمسين ومائة سطر كتبت بخط فارسي واضح تغلب عليه الصحة . على أننا لم نتقيد دائماً برسم الناسخ ، فهو يكتب (الصبى) بدل (الصِبا)[1] و (كان لا يسلوا) بدل (كان لا يسلو) و (ترجوا النساء) بدل (ترجو النساء) ويحذف الألف اللينة من (ثلاثة) و (مائك) ويسهل همزة (زائل) . وقد يخطئ في رسم ما استغلق عليه فهمه ، فهو يكتب (التوحية) بدل (التوجيه) و (المقعد) بدل (المقمّر) . وقد أشرنا الى بعض هذه الاختلافات في حواشي النص الذي ننشره بعد هذه التوطئة .

* * *

(١) وإن كان لكتابتها منقوصة" عند كسر أولها وجه كما في تاج العروس .

أما قيمة (الموجز في علم القوافي) فتضارع قيمة (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) لمؤلف نفسه؛ إذ اشتمل الموجز على خلاصة وافية لهذا العلم، سهلة المأخذ، واضحة النهج، منسقة الفصول، جامعة أكثر ما يحتاجه المتلقن والمتلقف. وقد أجاد المؤلف تقسيم هذا العلم، وضرب لكل قاعدة مثالاً من مشهور كلام العرب. هذا وقد درج أكثر المؤلفين المتقدمين على التقيد بإثبات مثال بعينه للقاعدة يتقله الخلف عن السلف، أما الأنباري فكثيراً ما يمثل بأبيات وردت في دواوين العرب ولكن لم تجر عادة العروضيين بالاستشهاد بها.

لن تجد في هذا الكتاب جديداً في علم القوافي، فقد ولد هذا العلم كاملاً - فيما يقولون -، ولكنك ستجد فيه لباب العلم دون قشوره، معروضاً بأسلوب رشيق مشرق وتحديد محكم بارع وبسط موجز بين، وسترى ذلك في الصفحات التالية التي ينشر فيها هذا الكتاب لأول مرة.

(دمشق) عبد الهادي هاشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الموجز في علم القوافي
تأليف كمال الدين الأنباري النحوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماخفيَ من نعمه وخَفَا [١] ، وصلواته على عبده ونبيّه المصطفى ، وعلى سائر عباده الذين اصطفى ، وبعد فاني أودعت في [٢] هذا المختصر من أصول علم القافية ، نُبَذاً وافية ، ونُكَتاً كافية ، في التأسيس لقواعد أصوله ، والتأنيس بفروعه وأصوله ؛ وقسمته فصولاً ، ليكون أدنى إلى متلقّنه وصولاً ، وأدْعى لمتلقفه حصولاً ، وبالله التوفيق وكفى به كفيلاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فصل في معرفة القافية

اعلمْ أن علماء العربية اختلفوا في القافية ، فذهب الخليل بن أحمد إلى أنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحرف المتحرك الذي قبله . وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أنها آخر كلمة في البيت . وذهب أبو علي قطرب وأبو العباس ثعلب الى أنها حرف الرويّ ، وهو مذهب الشعراء . وقال بعضهم : القافية ما لزم الشاعر إعادته . وإنما سميت قافية لأنها تتبع ما قبلها من الكلام ، من القَفْو وهو الاتباع ، يقال : قفوتُ أثره اذا اتبعته ، وقال الله تعالى [٣] : «ولا تقفُ ما ليس لك به علم» .

---

(١) خفا الشيء يخفو : ظهر .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الناسخ هو الذي أقحم الجارّ (في) هنا .

(٣) الاسراء (١٧) ٣٦

فصل في معرفة ما يعرض في القافية

ويعرض في القافية ستة أحرف وست حركات . فالأحرف : الرَّويّ والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل . والحركات : المجرى والنفاذ والحذو والرسّ والاشباع والتوجيه[١] .

فصل في معرفة الأحرف

الرَّويّ : – هو الحرف الذي يلزم القصيدة بأسرها وتنسب إليه ، كقوله :

أَلا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائـلُ

فاللام هو الروي ، وكذلك القصيدة لاميَّة .

والوصل : – يكون بأربعة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي يتبعن الرَّويّ والهاء سواء كانت ساكنة أو متحركة . فالألف كقوله :

أَمِن آل سلمى عرفت الطُلولا بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مثولا

فاللام الرويّ والألف بعدها وصل . والياء كقوله :

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتها منْ جنوب وشمألِ

والواو كقوله :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقلُ

والهاء الساكنة كقوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعُرِّيَ أفراسُ الصِبا ورواحلهْ

والهاء المتحركة كقوله :

أجاد المسدّي سردَها وأذالها

(١) يستبدل الناسخ دائماً كلمة التوحية بكلمة التوجيه ، ولعل الأمر قد التبس عليه .

والخروج : - يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن الزوائد اللواتي يتبعن الصلة المتحركة (١) . فالألف كقوله :

[طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائر] لها نفذ لولا الشّعاعُ أضاءها (٢)

فالهمزة هي الرّوي ، والهاء وصل ، والألف بعدها خروج .

والياء كقوله : تجرّد المجنون من كسائهِ . والواو كقوله :

كأنّ لونَ أرضه سماؤهُ (٣) .

والردف : - يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي قبل حرف الرّوي من غير فصل . فالألف كقوله :

ولو أدركته صَقِرُ الوطابُ

فالباء الرّوي والألف قبلها ردف . وأما الياء والواو فيشتركان في القصيدة الواحدة بخلاف الألف ، كقوله :

ولا تكثير على ذي الضغن عتباً ولا ذكر التجرم للذنوبِ
ولا تسأله (٤) عما سوف يبدي ولا عن عيبه لك بالمغيب
متى تَكُ في صديق أو عدو تخبّرْكَ العيون عن القلوب

(١) يريد المؤلف بالصلة المتحركة هاء الوصل إذا كانت متحركة ، فإذا كانت ساكنة لم يكن خروج ، كما لا يكون خروج إذا كان الوصل ألفاً أو واواً أو ياء .
(٢) ذكر المؤلف عجز البيت فقط وهو لقيس بن الخطيم (اللسان ، مادة : نفذ) ، وفي الأصل نقد بدل نفذ .
(٣) الواو المقصودة هنا هي التي تلي الهاء المضمومة في (سماؤه) وكذلك الياء في البيت السابق فهي التي تلي الهاء المكسورة .
(٤) رسمت الكلمة على هذا الشكل : تسئله .

التأسيس : – كل ألف [١] بينها وبين الرّويّ حرف ، **والدخيل** هو ذلك الحرف الذي بين التأسيس والرّويّ ، وذلك نحو قوله :

كِليني لِهمّ يا أُميمة ناصبِ وليل أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ

فالباء هي الرّويّ ، والألف قبلها التأسيس ، والكاف بينهما الدخيل ولا يلزم تكريره ، كقوله : ناصبِ والكواكبِ ؛ وكقوله :

خليليّ عوجا من صدور الرواحلِ بجمهور حزوى [٢] فابكيا في المنازلِ

وكان بعض المتقدمين يسميه التوجيه [٣] لأنه يجوز لك أن تغيّره بأي حرف شئتَ ، والأكثرون على أن التوجيه من جملة الحركات لا الحروف ، وستراه في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة الحركات

المجرى [٤] : – حركة حرف الرّويّ ، نحو ضمة لام زائلُ ، وفتحة لام مثولا ، وكسرة لام شمألِ .

والنفاذ : – حركة هاء الوصل ، نحو فتحة هاء أضاءها ، وكسرة هاء كسائهِ ، وضمة هاء سماؤهُ .

---

(١) في المخطوط : كألف .

(٢) في اللسان (مادة حزا) : حُزْوى بالضم اسم عُجْمة من عجم الدهناء وهي جمهور عظيم يعلو تلك الجماهير (والجمهور : الرمل الكثير المتراكم ، والعُجْمة ما تعقّد منه) .

(٣) في الأصل : تسمية التوحية .

(٤) حيثما وردت هذه الكلمة ضبطها الناسخ بضم الميم ، واعل الصواب فتحها ، لأن المجرى موضع جري حركات الإعراب والبناء ، والفتح هو المشهور عند ارباب هذا العلم .

والحذو :- حركة الحرف الذي قبل الردف ، نحو فتحة طاء الوطاب ، وكسرة غين المغيب ، وضمة لام القلوب .

والرّسّ :- هو الفتحة قبل التأسيس ، نحو فتحة الواو من الكواكب .

والإشباع :- هو حركة الدخيل ، نحو كسرة الزاي من المنازل .

والتوجيه :- حركة الحرف الذي قبل الرّويّ المقيّد ، وكان بعضهم يسميه الاجازة مأخوذ من إجازة الحبل اذا لم يحكم فتله فترا كبت قواه ، قال الفرّاء : الاجازة عند الخليل أن تكون القافية طاء والأخرى دالاً وهو الاكفاء ، وسنذكر هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة أنواع القافية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهي خمسة : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف .

فالمتكاوس :- كل قافية آخرها أربعة أحرف متحركة بين ساكنين ، ولا يجتمع في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركة متوالية ، وذلك نحو قوله :

قد جبر الدينَ الإلهُ فجبرْ

والمتراكب :- كل قافية آخرها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين ، نحو قوله :

قف بالديار التي لم يعفها القِدَمُ بلى وغيّرها الأرواحُ والدِّيَمُ

والمتدارك :- كل قافية آخرها حرفان متحركان بين ساكنين ، نحو قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

والمتواتر : – كل قافية آخرها حرف متحرك بين ساكنين ، كقوله :

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي[1] بنا بين المنيفة فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

والمترادف : – كل قافية اجتمع فيها ساكنان ، كقوله :

قلتُ لها قفي لنا قالت قافْ[2]

فافهمه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة عيوب القافية

وهي خمسة : الإقواء والإكفاء والإيطاء والتضمين والسناد .

فالإقواء : – أن يجتمع الرفع والجر في قصيدة واحدة ، نحو قوله :

آذنتنا ببينها[3] أسماء رب ثاوٍ يُملّ منه الثواء

وقال فيها :

فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء السماء

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه قال : الاقواء نقصان حرف من الفاصلة ، كقوله :

---

(١) في اللسان (مادة عرر) : (تخذي) بدل (تهوي) ، وبعد البيتين بيتان آخران هما :

ألا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار

(٢) في (أف) عشر لغات على الأقل ، فمنها ما هو بتخفيف الفاء فلا يصلح مثالاً للترادف ، ومنها ما هو بتشديدها منوّناً أو غير منوّن ؛ (راجع اللسان في مادة : أفف) .

(٣) في المخطوط : اذنتنا بينها .

أفبعد مقتل مالكِ بن زُهَيْرٍ ترجو النساءُ عواقب الأطهارِ[١]

وكان الخليل يسمي هذا المقعَّر[٢] . والمعتمد أن الاقواء أن يكون الرفع والجر في قصيدة واحدة على ما بيّنا ، فإن كان مع الرفع أو الجر نصبٌ سُمّي إصْرافاً ، ولا يجيزه الخليل بن أحمد والبصريون ، وأجازه المفضّل الضبّيّ والكوفيون .

والإكفاء :– أن يختلف الرّويّ في قصيدة واحدة ، وأكثر ما يكون ذلك في الحروف المتقاربة كالميم والنون ، والطاء والدال ؛ فالميم والنون كقوله :

بُنيَّ إنَّ البِرَّ شيءٌ هيِّنُ المنطق اللّيِّـــن والطعيِّمُ

والطاء والدال كقوله :

إذا ركبتُ فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيق العَنَدا[٣]

وبعضهم يجعل الإكفاء بمنزلة الإقواء ، والأكثرون على ما ذكرناه[٤] .

والإيطاء :– أن تكرر القافية في القصيدة الواحدة باللفظ والمعنى ، كقوله :

أو كاهتزاز رُدينيّ تداوله أيدي التجار فزادوا متنه لينـا

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.co

وقال فيهـا :

. . . . من الأحاديث حتى زدتني لينا[٥]

---

(١) رسمت مالك بلا ألف في المخطوط ، والبيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي (الحماسة ص ٤٤٧) .

(٢) في المخطوط : المقعد ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) العَنَد : الجانب ، يقال : يمشي وسطاً لا عَنَداً ، وفي المخطوط : العُنّدا .

(٤) في هامش المخطوط هذه الزيادة : قال أبو عمرو : الإكفاء عند العرب المخالفة في كل شيء .

(٥) ورد هذان البيتان في المخطوط على هذا الشكل :

أو كاهتزاز رداني تداوله أتريد التجار فزادوا متنه لبناه
ان ني تازعت البانيا لبن بقتصر من الأحاديث حتى زدتني لينا

وفي الهامش ما نصه : هذا الشعر لابن مقبل . ولم نقع على صوابها فيما بين يدينا من المراجع .

فان اختلف المعنيان لم يكن إيطاء [و] ليس بعيب عند العرب ، والمذهب المذكور ما بيّناه .

والتضمين : — أن تتعلق قافية البيت [الأ]ول بالثاني ، كقوله :

فسائل تميماً بنا والرباب وسائل هوا[ز]ن عنا إذا ما

ثم قال [في] البيت الثاني :

لقيناهُمُ كيف نعلوهمُ ببيض يفلّقن بَيْضاً وهاما [1]

والسناد : — كل عيب يقع في القافية ، مثل أن تأتي القافية مرة مردفة ومرة غير مردفة ، ومرة مؤسسة ومرة غير مؤسسة ، وأن تختلف حركة الاشباع والحذو ، كقوله :

كأن عيونهنّ عيون عِينِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم قال :

وأصبح رأسه مثل اللجَيْنِ

واختلفوا في اختلاف ما قبل الرّوِيّ المقيّد ، فذهب بعضهم إلى أنه ليس بعيب ، والذي عليه الجمهور والمذهب المشهور أنه عيب والله أعلم .

تم المختصر بحمد الله تعالى ، فلله الحمد على ما أولى .

(١) في المخطوط : ...... نعوهم ببيض فلقن .....

مقدمة المرزوقي

لشرح حماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

- ٧ -

(أو لا يكون بين أجزاء البيت التئام) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التحام أجزاء النظم وعند الكلام على عيار التحام أجزاء النظم .

(أو تكون القافية قلقة في مقرها أو مجوبة في نفسها) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية من الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر وعند الكلام على عيار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافيـة .

(أو يكون في القَسْم أو التقابل أو في التفسير فساد) .

أما فساد التقسيم فهو ضد صحة التقسيم وهو يكون على وجهين أحدهما أن يأتي الشاعر بتقسيم وليس هو بتقسيم كقول هذيل الأشجعي :

فما برحتْ تومي إليَّ بطرفها   وتومض أحياناً اذا خصمُها غفل

فان تومي وتومض متساويان . وقريب منه قول لبيد :

كدخان مشعلة يشب ضرامهـا

ثم قال بعده فيها : كدُخان نار ساطع أسنامهـا

وثانيهما ان يترك شيئاً من التقسيم كقول جرير :

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

وسكت عن الثلث الثالث .

وأما فساد التقابل فهو فساد التضاد المقصود كقول ابي عدي :

رُحماء لذي الصلاح وضرّابو ن قدماً لهامة الصنديد

فقابل ذا الصلاح بالصنديد وقد يكون الصنديد صالحاً فيضربون هامته وقد يكون غير الصنديد شريراً فلا يضربون هامته . وأما فساد التفسير فهو فساد البيان بأن لا يلاقي البيان لما أُجمل سابقاً كقول بعضهم مادحاً :

فيأيها الحيران في ظلَم الدجى ومن خاف أن يلقاه بغي من العدى

تعالَ اليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحراً من الندى

فتبين ما يترقبه في ظلمة الدجى بحصول ضياء وجه الممدوح تفسير صحيح ولكن تبين ما يترقبه خائف البغي بحصول الكرم تبيين فاسد . ومن فساد التفسير سخافته كقول عز الدين الموصلي في بديعيته .

ذكر الإمام وابنيه بفسره عليٌّ والحسنان أُكرم بذكرهم

عيَ ما في البيت من ضرورات ركيكة ثلاث .

(أو في المعنى تناقض) .

بحيث يقتضي بعض المعاني نقيض البعض الآخر في الغرض الواحد بلا تأويل ومن المعلوم مراعاة شروط التناقض في هذا وهي ما يعبر عنها بالوحدات الثمان في علم المنطق والا فان من التناقض ما هو معدود من لطائف الأساليب كقوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . ومنه ما يسمى بالطباق وهو الجمع بين معنيين متضادين ولو في الجملة .

ومثال ما وقع فيه التناقض وعيب على قائله قول زهير :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواحُ والديم

إذ جمع بين قوله لم يعفها وبين نقض النفي بحرف بلى وقد يغتفر ذلك لضرب من التمليح كقول بعض الأدباء :

أسكرُ بالأمس إن عزمت على الشر ب غداً إن ذا من العجب

وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو وكذا قول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقد عابوا على عبد الرحمن بن عبيد الله القس قوله :

فاني اذا ما الموت حل بنفسها يزال بنفسي قبل ذاك فأقبر

لأن شرط إذا يقتضي المستقبل أي إذا هي ماتت يموت هو قبل ذلك ·

(أو خروج الى ما ليس في العادة أو الطبع)

سماه خروجاً لأنه مخالفة لصحة الكلام فكأن صاحبه خرج من حظيرة معاني الشعر الى الهوس وهو يرجع الى الخطأ في المعاني · مثال الخروج الى ما ليس في العادة قول أبي الطيب :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

إذ ليس من عادة المحبين الرغبة في نسيان الأحباب إلا أن يكون الذي أراد منه ذلك غير نفسه فتأمله ·

ومثال الخروج الى ما ليس في الطبع قول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البرق في دعجاء باد دجونها

فجعل الخال مفرطاً في البياض وطبيعة الخال السواد وإلا فقد انقلب بهقاً ·

(أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف) ·

من أغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف قول المسيب بن علس :

وقد أتلافى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

الناجي الجمل الفحل والصيعرية سمة يسم بها أهل اليمن النوق الكرائم فلا يوسم بها الجمل وأنشد هذا البيت بمحضر طرفة بن العبد وهو يومئذ صبي فقال طرفة: «استنوق الجمل» وضحك منه فأرسلها مثلاً . وقد ورد في كتب الأدب كثير من هذا كما في الموازنة للآمدي ولذا قال المؤلف فيما مضى «وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز» .

وقد يجيء الخطأ من حَصَر في التعبير كما وقع لعبد الله بن السمط في مدح الخليفة المأمون العباسي قوله :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين والناسُ بالدنيا مشاغيل

قالوا لما سمعه المأمون نظر اليه نظرة كاد أن يصطلمه عليها فلما حدّث عبد الله بذلك عمارةَ بن عقيل بن بلال بن جرير قال عمارة: «لقد أحسن إذ لم يؤدبك وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يشتغل بها هلا قلت كما قال جدي جرير في عمر ابن عبد العزيز :

فلا هو في الدنيا مضيع لدينه ولا عَرض الدنيا عن الدين شاغله

وفي رواية أنه قال له : ما زدت على أن جعلت أمير المؤمنين عجوزاً في محرابها .

(أو يكون في البيت حِشو لا طائل فيه) .

الحشو بكسر الحاء هو الكلام الذي ليس فيه فائدة في الغرض بمعنى الحشو لأنه لا جدوى له إلا الزيادة في الكلام كقول مصقلة بن هبيرة :

أبلغني إلى أهل العراق رسالة وخص بها حييت بكر بن وائل

فقوله حييت دعاء لا جدوى له في هذا المقام . ومنه قول أبي فراس :

ولكنني والحمد لله حازم أعز إذا ذلت لهن رقاب

فحمدُ الله هنا حشو إذ لا جدوى في الغرض . ومن قبيحه [1] قول بعضهم :

(١) أنشده قدامة في كتاب نقد النثر ص ٧٤ .

أمْ سَلاّمٍ أثيبي عاشقاً بعلم الله يقيناً ربه

أنكم في عينه من عيشه فاعلميه يا سليمى حسبه

فقوله يقيناً ربه حشوان وكذلك في عينه وكذلك فاعلميه يا سليمى .

(الى غير ذلك مما يحصّله لك تأمُّلك جملَ المحاسن وتفصيلَها وتتبُّعك ما يضادها وينافيها وهذا هين قريب) .

أي ان المحاسن وأضدادها لا تنحصر فيما ذكره فقد تذكر بعض المحاسن ولا تذكر أضدادها وقد تذكر بعض العيوب ولا تذكر محاسن الخلو عنها والتأمل في الجميع يحصل للمتأمل انتباهاً الى إدراك ما عسى أن يغفلوا عنه .

(وإنما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا قضية طبعي أو ارجعْ الى غيري ممن له في[1] الدربة والعلم بمثله فانه يحكم بمثل حكمي وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه) .

اسم الاشارة راجع الى ما تقدم من قوله « واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء الى قوله : وهذا هين قريب » يعني أنه إنما اهتم ببيان المقابح إجمالاً ثم تفصيلاً لتكون نموذجاً من علل النقد وأسباب السقوط بحيث يتمكن مزاولها والمتأمل فيها وفي ما يماثلها أن يبين وجه رداءة ما يحكم برداءته من الشعر لأن بيان أسباب الرداءة أيسر من بيان أسباب الجودة وقد تقدم قول الآمدي في الموازنة « وأُبيِّنُ الرديء وأرذله » .

ومراد المؤلف بقوله « لأنه لا شيء إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه » إظهار الفرق بين حالة الحكم بالإجادة وحالة الحكم

(١) الصواب اسقاط (في) كما في النسخة التونسية .

بالرداءة فان الأولى قد يكون الرجوع فيها الى الطبع والذوق وان الثانية لا يعسر معها الاحتجاج بعلة الرداءة ولعله يشير بقوله « فاعلمه » الى الرد على الآمدي إذ سوى بين الحالتين في الموازنة فقال « وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجه الى البيان ولا إظهاره بالاحتجاج وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته اه » .

(وأما تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والبلغاء والعذر في قلة المترسلين، وكثرة المفلقين والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر فاني أقول في كل ذلك [1] ما يحضر والله ولي توفيقي وهو حسبي وعليه توكلي) .

جمع المؤلف هذه الأسئلة جمعاً واحداً لأنه أراد الجواب عنها برمتها إذ كان بيان أسبابها آخذاً بعضه بحجز بعض كما سيأتي .

(اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبة تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب لأمرين : أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ويعدونها أكمل أسباب الرئاسة وأفضل آلات الزعامة فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداهة وأنجع في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تخشين القول وتليينه داعياً الى طاعة أو مستصلحاً لرعية أو غير ذلك مما تدعو الحاجة اليه كان ذلك أبلغ عندهم من إنفاق مال عظيم وتجهيز جيش كبير) .

ابتدأ البحث بالتفضيل بين الكلام النثر والنظم وبنى تأخر الشعراء عن رتبة

(١) كذا في نشرة الدكتور شكري فيصل غير مثبت اختلاف النسخ . والذي في نسخة الاستانة ونسختي تونس « فاني أقول في كل فصل من ذلك » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخطباء والكتاب على أساس تأخر المنظوم عن رتبة المنثور فأثار مبحثاً قديماً خاض فيه الأدباء وقد احتفل به ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير فقال :

« اعلم أن الأقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر إلا ان المذهب الفحل والقول القوي هو ان الكلام المنثور أفضل من الكلام المنظوم الخ » .

واعلم أن مناط التفاضل وموضوعه إنما هو النثر الخاص الذي يقصد منه تأثر السامع وإقناعه بغرض، وذلك هو النثر الذي يصاغ في قالب البلاغة والفصاحة كالخطب والرسائل والأمثال والقصص التي يقصد حفظها والتأدب بها والأحاجي والنكت المستظرفة فيقصد واضعوها التأنق فيها لتكون أبقى في ذهن السامع . فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من المخاطبات في الشؤون المعتادة والمحادثات العادية ولا نحو كتابة ديوان الجند وكتابة الأموال . والمؤلف بنى تفضيل النثر على ما حف بصناعته من العوارض العرفية والدينية وذكر لتفضيل النثر على الشعر سببين . وابن الأثير ذكر أربعة أسباب وبعضها يتداخل مع ما ذكره المؤلف وقول المؤلف « عن رتبة البلغاء » أراد بالبلغاء غير الشعراء لأن الشعراء وان كانوا من أهل البلاغة إلا انهم لما كان لصناعة الشعر اسم خاص من بين الكلام البليغ شاع اطلاق وصف الشعراء عليهم وبقي وصف البلغاء مطلقاً على من عداهم من الخطباء والكتاب وهو إطلاق قديم مشهور ومنه قول أبي العلاء المعري :

لا تطلبنّ بدون حظ رتبة قلم البليغ بدون حظ مغزل

يعني بالبليغ الكاتب . وابتدأ المؤلف بحالة العصر الجاهلي فقصر كلامه على الخطباء ، إذ لم تكن في الجاهلية رسائل واعتبر المؤلف من عصر الجاهلية العصر الذي عُني الأدباء بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك ، فقد زعم ابن رشيق في العمدة في باب التكسب بالشعر أن الشاعر كان في مبدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم

من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه اهـ .

(وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعده ملوكهم دناءة وقد كان لإمرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجر بن عَمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال ، ما أخرجه الى أن أمر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد) .

عد المؤلف أنفة سادة العرب في الجاهلية من الاشتهار بقرض الشعر تكملة للأمر الأول من أسباب تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب وكان الأولى للمؤلف أن يجعله من جملة الأمر الثاني لأن الأنفة من قرض الشعر عندهم أوجبها اعتياد الشعراء التلبس بالأحوال التي هي من شأن أهل البطالة والتي لا تليق بالسؤدد في عرف زمانهم ومن ذلك ما سيذكره المؤلف عند تعرضه لأحوال الشعراء في مقابلة أحوال الكتاب إذ لا فرق في تلك الأحوال بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام وما قصة امرئ القيس مع أبيه إلا من ذلك القبيل فكان الوجه تأخير هذا ليستقيم قول المؤلف فهذا واحد . وأشار الى قضية امرئ القيس مع أبيه حجر ملك بني أسد [1] وحاصلها أن حجراً سمع ابنه امرأ القيس يترنم في مجلس شرابه بقوله :

اسقيا حُجراً على عِلاّته من كميت لونُها لون العلق

فهم أبوه بقتله ثم نهاه فلما لم ينته اطرده من وجهه فكان بعيداً عنه الى أن قتل أبوه . والقصة مشهورة في كتب الأدب .

(والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به الى السُوَق كما توصلوا به الى العلية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم حتى قيل : الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني . فهذا الباب أمره ظاهر . واذا كان شرف الصانع

---

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ٦٠ جزء ١ .

بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ) .

يعني أن الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعر مكسبة وتعرضوا به للعطاء مثل الأعشى والنابغة فغض منهم وبعضهم تعرض به الى أعراض الناس فسخطه الناس مثل الحطيئة ، وسكت المؤلف عن الذين اتخذوه للغزل واللهو فشغلهم عن عظائم الأمور . والحاصل ان في نحلة الشعر ما كان مجلبة للغض من أصحابه بالرغم على ما يعترف لهم به الناس من حسن البيان ، فقول من قال الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني قول صادر عمن لحظ من الشعر بعض عوارضه وإلا فقد كانوا يعدون الشاعر بنافح عن القبيلة ويرفع من ذكرها فقيل كانوا يولمون إذا نبغ فيهم شاعر ، وقد قال النبي ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » وقد تصدى عبد القاهر في أول دلائل الإعجاز لإبطال شبه من ساء اعتقادهم في الشعر فانظره . قال الجاحظ في البيان[1] قال عمرو بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدّم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذا قال الأول « الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني ولقد وضع الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة اهـ » .

وقولهم أدنى مروءة السري هو من الدناءة بمعنى الحطة أي هو أحط مروءة السري فالمروءة اجتماع الصفات التي تعتبر في الرجال وقد اشتقت من لفظ المرء كما اشتقت الرُّجلة من لفظ الرجل فالشعر من المزايا التي يمتاز بها صاحبها إذ

(١) ج ١ صفحة ١٧٠ طبع التجارية سنة ٤٥ .

لا يحصل لكل أحد فجعلوه أقل كمالات الإنسان الشريف وجعلوه أشرف كمالات الدني وحسبك بهذا ثناء عليه، ولكن غرض المؤلف التنبيه الى أعراض أوجبت تنقص الشعر وان النثر سالم من تلك الأعراض وانه وإن شغل أصحابه عن عظائم الأمور لم يخل من إفادتهم قبولاً في قومهم ونفعاً يجره اليهم، وقد قال بعض شعراء بكر بن وائل :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

ووقع في كلامه لفظ السُّوَق وهو بضم السين وفتح الواو بوزن صُرد اسم جمع سوقة والسوقة اسم للجماعة المنسوبة الى السوق وهم العامة من الناس . والعِلية بكسر العين وسكون اللام الجماعة المعتلون أهل الرفعة والخصوصية .

(ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الإعجاز من الله تعالى حده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يولعون به في حينهم ويغلب على طبائعهم وبأشرف ذلك الجنس على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي ﷺ زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به وبأشرفه فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً وقد قال الله عز وجل في تنزيه النبي ﷺ : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وقال أيضاً : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأناً وأعلى سمكاً وبناءً من النظم وأن يكون متناوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات ومزاوليها) .

ساق المؤلف هذا الكلام كتكملة للسبب الثاني في تفضيل النثر على الشعر بيان أن ذلك فضل اكتسبه في الجاهلية . وعززه له الإسلام ولهذا لم يجعل هذا دليلاً ثالثاً وقد عده ابن الأثير في الجامع الكبير سبباً مستقلاً ، وفي نسخة الاستانة بعد قوله أشرف من النظم « وان النظم أقصر درجة من النثر » .

(وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعزّ من جمع بين النوعين مبرزاً فيهما فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى ممتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه إذ كان مورده على أسماع مفترقة من خاصي وعامي وأفهام مختلفة من ذكي وغبي فمتى كان متسهلاً متساوقاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت الآذان في تلقيه والأفهام في درايته والألسن في روايته فيسمح شارده اذا استدعي ويتعجل وافده اذا استدني وإن تطاول أنفاس فصوله وتباعد أطراف حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك ، لأنه بني على أوزان مقدرة وحدود مقسمة وقواف يساق ما قبلها اليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وان يبلغ الشاعر في تلطيفه والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حداً يصير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها والظافر بدفينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن انتحاء الأثر ، وتباطؤ المطلوب على المنتظر ، فكل ما يحمد في الترسل ويختار يذم في الشعر ويرفض .

فلما اختلف المبنيان كما بينا وكان المتولي لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت فيهما الاصابتان لتباين طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجمع بينهما) .

انتقل المؤلف الى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الإسلام وجمع هنا الجواب عن مسألتين : مسألة السبب في قلة المترسلين من الكتاب وكثرة المفلقين من الشعراء . ومسألة السبب في عزة من يجمع بين الترسل والشعر .

وابتدأ بجواب المسألة الثانية في سبب عزة الجمع بين الترسل والشعر بقوله : « فهو ان مبنى الترسل الى قوله أولى وأخص » وحاصل السبب ان مقتضى الصناعتين مختلف فكان ذلك الاختلاف سبباً في ندرة العقول التي تجيد كلتا الصناعتين لأن العناية بأحد الأسلوبين واجادته تباعد الفكر عن الاهتمام بالآخر والاشتغال به . والانصراف والتوجه الى احدى الصناعتين حتى تستولي على الذهن هو أمر يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها وقوله : « فيسمح شارده اذا استدعي . ويتعجل وافده اذا استدني » بفتح حرف المضارعة في يسمح ويتعجل مبنيين الى الفاعل وأراد بالشارد المعنى العزيز الممتنع وبالوافد المعنى السهل استعار الشارد للنادر لقلة حضوره واستعار الوافد للسهل لأنه كالذي يأتي بدون استدعاء واستعار لمحاولة اختراع المعنى النادر وللتمكن من تقويته في الذهن فعلي الاستدعاء والسماح . واستعار لإبراز المعنى السهل بعد خطوره في الذهن فعلى التعجل والاستدناء لأن الوافد يستدنى للإكرام والقرى .

« وقوله أنفاس فصوله » كذا ثبت في نسخة الاستانة والنسختين التونسيتين . ووقع في نشرة الدكتور شكري « أنفاس وصوله » بواو عوض الفاء ولا يظهر له كبير معنى .

وقول المؤلف « إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه » أشار الى ما يسمى عندهم بالتضمين وهو أن يتوقف فهم معنى البيت على معرفة البيت الذي بعده وهو عيب في الشعر العربي ومع ذلك وقع في شعر فحول الشعراء ، ووقع للنابغة في عدة قصائد كقوله :

فهم دَرعي التي استلأمت فيها وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدتُ لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الود مني

وقوله : « وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد » وقع في نسخة الاستانة مخالفاً بالترتيب وبالاعجام فكتب « يتقاضاه كل بيت بالاتخاذ » بالخاء والذال المعجمتين والمعنى على معظم النسخ بالمهملتين ان كل بيت يطالب الشاعر بأن يجعله متحداً مع الأبيات أقرانه ففي ذلك التقاضي زيادة كلفة للشاعر وعمل ليناسب بين البيت وأخيه كما قال رؤبة : « قد قلتَ لو كان له قران » فتأمل .

وأما الاتخاذ بالمعجمتين فلا يظهر له معنى لأن الشاعر إذا نظم البيت فقد اتخذه فهذا تحصيل حاصل . وقوله « وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر . وتباطؤ المطلوب على المنتظِر » انمحاء الأثر كناية عن كثرة الترداد على الطريق حتى لا تبين فيه آثار أقدامٍ معينة وقد جعله تمثيلاً لحالة وفرة المحاولين لانتزاع المعاني وتهذيبها وإفراغها في قوالب النظم بحالة كثرة السائرين في جادة الطريق حتى تصير الطريق صلبة لا تظهر فيها آثار أقدام السائرين ولا سنابك الركاب كما يقال بيض الطرائق . والمعنى ان في هذا العمل ومثله يحسن الدأب على الطلبِ ومحاولة الظفَر بالغاية .

وقوله « وتباطؤ المطلوب على المنتظِر » أي هذا تباطؤ حسن غير مذموم وانتظار لذيذ لأجل ما يجده المنتظر في أثناء انتظاره من توسم نوال غُنم نفيس وظهور بشائر اقترابه كما قال أبو الطيب :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

(يكشف ذلك أن الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة ترجع الى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم السجع عليه ، قلّ عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الإحاطة بها ، فاذا كان الرجز والقصيد مع أنهما من واد واحد أفضت الحال بتعاطيها الى ما قلت على خلاف يسير بينهما ، فالنثر والنظم وهما في طرفين ضدين وعلى حالتين متباينتين أولى وأخص) .

كان العرب قد خصوا الرجز بأغراض غير مهمة وهي الحداء والمتح على المياه وترقيص الأمهات أطفالهن . وكانوا ينظمونه على حالة عجلة وكيفما اتفق فلذلك لم يكن يعبأ به الشعراء . وربما ارتجز البطل عند الخروج الى صف المقاتلة يرهب الناس بما يذكره من بأسه الى أن ظهر منهم الرجاز المجيدون مثل العجاج وأبي النجم وكانوا كلهم من أهل البداوة فبقي الرجز شعار الأديب البدوي ولم يبرّز فيه أهل الحضر وقد عد من مقدرة بشار بن برد انه ارتجز بأراجيز فاق فيها مشاهير الرجاز مثل أرجوزته الطويلة :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله حدّث كيف عدت بعدي

وقصته فيها مع عقبة بن رؤبة مذكورة في ترجمة بشار .

(وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء) .

أراد بالبلغاء الكتاب البلغاء كما يبينه قوله : « منها أن المترسل محتاج الخ » ويبينه أيضاً انه موضوع البحث لقوله في حكاية السؤال « معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين » وقد تقدم وجه هذه العبارة عند شرح قوله « اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء الخ » وكأنّ اللام في البلغاء للعهد لأنه لما ذكر في صدر المقدمة رغبة السائل الكشف عما تخير فيه قال هنالك « وقلتَ أيضاً أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء

عن رتبة الكتاب البلغاء » وسبب ذلك كله أن أغلب المترسلين كانوا في عداد كتاب الدولة فصار الترسل مقارناً في الأذهان لصناعة الكتابة التي لها نباهة في الدولة ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الاسلام اكتفاء بما ذكره من فضل الخطابة في العصر الجاهلي واعتداداً بأن الكتابة غطت على الخطابة وغمرتها بين أهل الدولة . والنباهةُ مصدر نبُه بضم الباء ويجوز فيها الفتح والكسر وهي الشرف وعلو القدر والخمول ضد النباهة ولم يصرحوا بحركة الخاء منه ولكن قياسه ضم الخاء لأن مصدر فعل المفتوح العين اللازم يكون على وزن فعول بضم الفاء باطراد إلا في أفعال الامتناع وأفعال الاضطراب وأفعال الادواء .

(فهو ان المترسل محتاج الى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه) .

يُبين كلامَ المؤلف هنا كلامٌ صدر عن ابن الأثير في الفصل الثاني من مقدمة المثل السائر إذ قال : « وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم ، حتى قيل كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة وذلك لما يفتقر اليه من الخواص في كل فن » .

وذكر ابن الأثير أن فن الكتابة يفتقر الى سبعة أنواع من الآلات . هي علوم العربية ، وعلم اللغة وأمثال العرب ، والاطلاع على تآليف من تقدمه من أرباب الصناعة المنظومة والمنثورة ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، وحفظ القرآن ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ . وقال القلقشندي : « ان كاتب الانشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن » وعلى هذا الاعتبار توسع القلقشندي فألف كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء في عشرين جزءاً . وقال : [1] « واعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان

(١) صفحة ١٤٦ جزء ١ .

يحتاج الى التملق بجميع العلوم فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها كاللغة والنحو والبلاغة ومنها ما يحتاج اليه بطريق العَرَض كالطب والهندسة فإنه يحتاج الى الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم والى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية الخ » .

وأقول ان الكتّاب المشروطة فيهم هذه الشروط هم كتاب الرسائل السلطانية ومن كان في مرتبتهم وهم الذين منهم تختار الوزراء دون أصناف آخرين من الكتاب مثل كاتب القاضي وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الحساب وغيرهم وهم مراتب وشروطهم كذلك وهي منحصرة فيما به إجادة عملهم [1] .

(منها تبين مقادير من يَكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً ـ ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يُخاطب بها مفخّمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها ـ ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها في النقض والإبرام والبسط والانقباض ـ ومنها ان يعلم أوقات الإسهاب والتطويل والايجاز والتخفيف فقد يتفق ما يحتاج فيه الى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ؛ ويتفق أيضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة ـ ومنها ان يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ولا يعدلَ فيما يخط عن المحجة فهو انما يترسل في عهود الولاة والقضاة وتأكيد البيعة والائتمان وعمارة البلدان وإصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة لِملة أو دعاء الى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة) .

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ١٤٣ جزء ١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشار الى أشد ما يحتاج اليه كاتب الإنشاء وهو أهم ما ذكره صاحب صبح الأعشى آنفاً .

(فلما كان الأمر على هذا صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعز وعددهم أنزر وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رئاستها فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم) .

جعل السبب في قلة الكتاب هو السبب أيضاً في رفعة شأنهم وقد يكون للسبب الواحد مسببان فأكثر . وحاجة السلاطين والأمراء والسادة الى الكتاب معلومة وفي تضاعيف شواهد التاريخ منها كثير . وقصة غناء عبد الله بن المقفع الكاتب عن مخدومه علي بن عبد الله بن عباس في صده كيد السفاح عنه بما كتبه من صيغة الأمان الذي رضي السفاح ببذله لعمه علي بن عبد الله بن عباس ، مذكورة في ترجمة ابن المقفع ويقال هي كانت سبب نكبة ابن المقفع . وذكر الحريري في المقامة ٢٣ بعض مزايا الكتاب أهل الإنشاء وبعض وجوه الحاجة اليهم فقال «والمنشئ جهينة الأخبار . وحقيبة الأسرار . ونجي العظماء . وكبير الندماء . وقلمه لسان الدولة . وفارس الجولة . ولقمان الحكمة . وترجمان الهمة . وهو البشير النذير . والشفيع السفير . به تستخلص الصياصي . وتملك النواصي . ويقتاد العاصي . ويستدنى القاصي . وصاحبه بريء من التبعات . آمن كيد السعاة» .

وفي صبح الأعشى من كلام ابن جعفر الفضل بن أحمد : «للكتاب أقرت الملوك بالفاقة والحاجة . واليهم ألقوا الأعنة والأزمة . وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة . وعليهم اتكلوا في الأهل والولد . والذخائر والعقد . وولاية العهد . وتدبير الملك وقرع الأعداء . وتوفير الفيء . وحياطة الحريم . وحفظ الأسرار . وترتيب المراتب . ونظم الحروب» .

(والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون اليها ، وصف الديار والآثار والحنين الى المعاهد والأوطان والتشبيب بالنساء والتلطيف في الاجتداء والتفنن في المديح والهجاء والمبالغة في التشبيه والأوصاف ، فاذا كان كذلك ثم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار . وإذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فانا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله وآله الأخيار) .

أشار الى أن أغراض الشعراء وإن كانت رائقة للنفوس ومرغوبة عند أهل الذوق السليم فان للكتّاب المرتبةَ المهيبة ، والآثارَ العجيبة .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور
شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايوانية البحتري

- ١ -

كان لملوك فارس عواصم متعددة أولها (اصطخر) وآخرها (المدائن) وكانوا قبل سابور (توفي سنة ٢٧٢ م) ينزلون (طَيْسفون) وهي المدائن الغربية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى . فبنى سابور الإيوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه فصار دار الملك من بعده الى ظهور الإسلام . وسميت (المدائن) مدائن لأنها كانت مؤلفةً من عدة مدن وكانت هذه المدن عامرة بالسكان. أثناء الفتح الاسلامي وفتحت آخر سنة ١٦ هـ (نصف كانون الثاني ٦٣٧ م) ودخلها سعد ابن أبي وقاص آخر شهر آذار من السنة نفسها . ثم لما بنى المنصور بغداد انتقل سكان (المدائن) اليها . وبُني قصر (التاج) من حجارة الإيوان . وأخذت المدائن من يومئذ بالخراب والاضمحلال . ولم يبق من آثارها اليوم سوى البناء الفخم الذي يسمى (ايوان) كسرى واختلفوا في بانيه هل هو سابور أو غيره . والصحيح أنه تعاون على بنائه عدة من ملوكهم . وهو من أعظم أبنية العالم : مبني بالآجر على مرتفع من الأرض مساحته (١٥٠) ذراعاً في مثلها وأمامه ميدان طوله (٨٠) ذراعاً في عرض (٢٥) ذراعاً . وقيل ان سعة الإيوان من ركنه الى ركنه (٩٠) ذراعاً وارتفاعه (٨٠) ذراعاً . ومن أقسامه قصرٌ لسابور اشتهر باسم (الأبيض) و (القصر الأبيض) و (أبيض المدائن) . وقد تهدم الإيوان ولم يبق منه سوى قنطرة عظمى اشتهرت باسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الطاق)[1] أو (طاق كسرى) أو (طاق الايوان) والطاق كلمة فارسية معربة بمعنى القنطرة . ومنه قولنا (طاقة) للنافذة لأن قسمها العلوي بشكل قنطرة في الأصل . والطاق مبني بالآجر : طول كل آجرة ذراع في عرض أقل من شبر . ومن أقسام الإيوان بناء عظيم يسمى (الجرماز) وقد اندرس ولم يبق له أثر . وفي الإيوان من التماثيل والصور شيء كثير : من جملتها صورة كسرى أنو شروان (وهذه الصورة في الجرماز فلعل الجرماز من بناء كسرى أنو شروان) وهو يحاصر أنطاكية وأهلها الروم يردونه عنها تحت راية ملكهم قيصر . وقد قال الشعراء في وصف الإيوان أشعاراً كثيرة أشهرها قصيدة البحتري فيه . وقد مرّ البحتري على الايوان ومعه ابنه (أبو الغوث) وكأنّ زيارته له كانت بعد شهوده مقتل المتوكل وحزنه الشديد عليه . فهاله مارأى من فخامة البناء وغريب الصُور والتماثيل . فوصفه ووصف القصر الأبيض وصفاً عاماً ثم (الجرماز) ثم الصورة المذكورة التي تمثل حصار كسرى لأنطاكية ثم صورة تمثل مجلساً لكسرى مع نسائه وقيانه وعظماء مملكته . والقصيدة البحترية من خير أشعار البحتري على غموض في كثير من أبياتها لم نعهده في شعر البحتري الذي وُصف بسلاسل الذهب ، وقد اجتهدت كثيراً في مقابلة نسخ القصيدة ومعارضة بعض النسخ ببعض حتى استخرجتُ منها نسخةً ربما كانت أكملها ضبطاً وتحقيقاً ، وقد علّقت عليها شرحاً موجزاً أرجو أن تكون فيه الكفاية للطالب الحريص على فهم هذه القصيدة الفريدة .

* * *

(١) والطاق يبعد ٣٠ كم لجنوب الشرقي من بغداد . وقنطرة الطاق علوّها نحو أربعين متراً وسماكة الجدران نحو سبعة أمتار وطول فراغ بهو الإيوان ٦٦ خطوة وعرضه ٣٥ خطوة (والخطوة نحو ثلثي متر) .
والإيوان اليوم محاط بقفر على مقربة من مصبّ نهر (ديالا) القادم من إيران – في دجلة . وكان أي الإيوان قديماً محاطاً بمدينة (المدائن) عاصمة كسرى اه . ملخصاً من رحلة جرجس الخوري المقدسي المنشورة في مجلة (المورد الصافي) .

(صنتُ نفسي عما يدنّس نفسي وترفعت عن جَدَا كل جِبْس)

(الجدا) العطية ويروى (ندا) وهو بمعنى الجود والسخاء . و (الجِبْس) بكسر الجيم الغبي الدنيء الثقيل الروح (والمعنى) أنه يصون نفسه عما يشينها ويدنس كرامتها: من ذلك أنه يربأ بها عن تناول عطيّة من الأدنياء السِفَل لأنهم يستكثرون عطاياهم ولا يزالون يمُنّون بها .

(وتماسكتُ حيث زعزعني الدهـ ـر التماساً منه لتعسي ونكسي)

ويروى (حين) مكان (حيث) وحين للزمان كحيث للمكان ومآل المعنى فيها واحد . و (التعس) أن يخرّ الانسان على وجهه والنكس أن يخرّ على رأسه . هذا أصلها ثم نُقلا الى معنى الهلاك: (تَعِسَ) كفرح اذا هلك و (تعَسَه وأتعسه) أهلكه فهو تاعس وتعِس . و (نُكِسَ) على البناء للمجهول ونكَسَه ونكَّسه فهو منكوس . (والمعنى) أن الدهر اذا نكبه نكبةً زعزعته وقلقلت عيشه مريداً إهلاكه وإسقاطه بين الناس فإنه يتماسك ويتجلد ويصبر غير جزوع ولا هلوع .

(بُلَغٌ من صُبابة العيشِ عندي طفّفتها الأيام تطفيف بَخْس)

(البُلَغ) جمع (بُلْغة) وهي ما يُتبلّغ به «أي يُكتفى به» من موادّ المعيشة بحيث لا يفضل منه شيء . و (الصُّبابة) بالضم البقية الباقية من طعام وشراب . و (التطفيف) و (البَخْس) كلاهما بمعنى النقص: (طفّف) الكيل والوزن نقَصه . و (بخَسه) حقّه نقَصه (يقول) انه اذا صان نفسه عن عطايا اللئام وصبر على نكبات الدهر فليس ذلك عن غنىً وسعةٍ من الرزق بل هو على العكس: لم يبق لديه من مرافق الحياة وأسباب المعيشة سوى بقية مجلّفة منقوصة .

(وبعيد ما بين وارد رِفْه عَلَلٍ شربه ووارد خِمس)

ذكر في هذا البيت حالةً من حالات الإبل في ورودها الماء قلةً وكثرة .

وقد ضربها مثلاً لنفسه : (الرَّفه والرفاهة) لين العيش ورغد الحياة في البشر . أما في الإبل فهو (أي الرفه) أن ترد الماء كل يوم متى شاءت . وفعله (رَفَهَ) من باب قَطَع و (رفُه) من باب حَسُن . ويغلط الناس في مصدريه فيقولون (رَفَه) بفتح الفاء مع أن الواجب تسكينها ويقولون (رفاه) بزيادة الألف وصوابه (رفاهة) بتاء في آخره كالرفاهية . و (العَلَل) ضد النَّهَل : فالنهل أن تورد الإبل ثم تُرَدّ الى العطن (وهو موضع بروكها على مقربة من المورد) وبعد قليل يوردونها مرةً ثانية ، وهذا الورود الثاني يسمى العَلَل . حتى إذا رويت ساقوها الى المرعى أو المراح وهو مبيتها ليلاً . ولا ريب أن سقي الإبل متى شاءت وسقيها ثانية : في ذلك زيادة ريّ لها وعناية بخدمتها وترفيه عيشها . وقد ضربه شاعرنا البحتري مثلاً لحالة الانسان اللَّين العيش الذي تيسرت له أسباب الخفض والدعة . قال وشتان من كانت حالته كذلك ومن كانت حالته كحالة البحتري : لا يرد رفهاً ولا عَلَلاً بل يرد خِمساً . والخمس بكسر الخاء ظِمْءٌ من أظماء الإبل كالربع والسدس : فهي ضد الرفه والعلل فان فيها (أي في هذه الأظماء الخمس والربع والسدس) تعطيشاً للإبل . وتزنيقاً عليها في المعيشة . وذلك يكون منهم إذا أرادوا سفراً بعيداً فإنهم يعوّدونها العطش رويداً رويداً ربعاً تخمساً فسدساً . وبذلك تمرن الإبل على تحمُّل العطش ثم يرمون بها في الفلوات أياماً وأياماً .
فالخمس والسدس طريقة من طرائق خديعة الإبل والاحتيال عليها . ومن هنا المثل (فلان يضرب أخماساً لأسداس) أي يُري صاحبه أنه يُطيعه وهو إنما يراوغه ويحتال عليه . ويغلط الناس في استعمال هذا المثل فيقولون يضرب (أخماساً في أسداس) وصوابه (لأسداس) كما يضربونه مثلاً لمن يفكّر في الأمر كي يتبيّن وجه الصواب فيه . و (البحتري) يقول : الفرق بعيد بينه وهو عطشان كالبعير الوارد خمساً ـ وبين آخر توفرت له جميع أسباب الرغد ولين العيش .

(وكأنّ الزمان أصبح مخبو لاً : هواه مع الأخسّ الأخسّ)

في النسخ كلها (مخبولاً) بالميم وصوابه (مخبولاً) بالباء وهو من أصيب بفساد في عقله وأصبح كالمجنون لا يدري وجه الصواب في معالجة الشؤون ، وهكذا الزمان في تضييق العيش على الكرام أمثال البحتري . (على الأخس الأخس) أي الأرذل الأرذل من الناس : فهو كأنه يؤثرهم ويسارع في هواهم .

(واشترائي العراق خطّة غبن بعد بيعي الشآم بيعة وكس)

(الخُطة) بضم الخاء الخصلة ويكون بمعنى الأمر تهيؤه في نفسك لتجري عليه في عملك و (الغبن) أن تخدع فتخسر في بيع أو شراء و (الوكس) النقص والخسارة أيضاً ، ووُكس في تجارته أي خسر فذهب ماله . كأنّ (البحتري) ندم على تركه بلاده الشامية (وبلده منبج في حلب) الى الديار العراقية التي لم يعطه الزمان فيها ما يتمناه من طيب عيش ورغد حياة : فهو يقول : ان بيعه للشام وإفلاتها من يده كان عليه فيه وكسٌ وخسران ، كما أن شخوصه الى العراق واشتراءه لها بعد ما باع الشام تدبيرٌ غير مصيب ومعاوضة أصبح فيها مخدوعاً مغبوناً .

(لا تَرُزْني مزاولاً لاختباري عند هذي البَلْوَى فتنكر مسّي)

(الرَّوْز) أن تجرّب آخر وتختبر ما عنده من علم وجهل أو صبر وجزع أو حبّ وبغض . وهكذا ، فامتحان الطلاّب لمعرفة ما عندهم من العلم هو في الحقيقة رَوْز ، والمسّ معلوم لكنه هنا بمعنى التجربة والاختبار كالجس : أصله المس باليد ثم أصبح بمعنى الفحص والاختبار . والبحتري بعد أن وصف ما وصف من حالته الشؤمى في العراق علم أن صديقه سوف يعاتبه على تطليقه الشام وتركه لها حتى وقع فيما وقع به من هذه البلوى فبادره قائلاً : أتحاول معرفة تجلدي ومقدار صبري على هذه المصيبة التي أنا فيها ؟ فانك بذلك ربما تحملني على الغضب والغلظة

فتيرى مني خشونة تنكر مسّها . وتسمع كلاماً مؤلماً لم تعهده مني من قبلُ ، دعني وما أنا فيه من الحزن والغم .

(وقديماً عهدتَني ذا صفاتٍ آبياتٍ على الدنيئات شُمْس)

في الأصل (ذا هنات) ولا يلائم معناها هنا إلا على إرادة معنى الأمور الغريبة . فالصواب ما قلناه و (أبى عليه) امتنع ونفر ولم يطع . ومثله شَمَسَ يَشْمُسُ فهو شامس وجمعه (شُمُس) . والشُموس في الفرس أن لا يمكن أحداً من ظهره ولا يكاد يستقرّ من قلقه . ولعل نفور الفرس هذا ناتج من رؤيته لخياله في الشمس . ومن هنا جاء فعل شَمَسَ اذا نفر وأبى . يقول البحتري لصديقه لا تكثر من لومي وإرهاقي بالعتب فانك تعلم مني قديماً الإباء والنفور من فعل ما يشين . فطباعي وأخلاقي كالأفراس الشُمُس التي تنفر مما تكره وتأبى على الراكب أن يُسرجها أو يُلجمها .

(ولقد رابني نبوُّ ابن عمي بعد لينٍ من جانبيه وأُنْس)

(النبوّ) الارتفاع ومنه نبا السيف عن الضريبة . والمراد بارتفاع ابن عمه شموخُه على البحتري وتعاليه : يقول ان من جملة البَلْوى سوء عشرة ابن عمي لي فهو يشمخ بأنفه عليّ وينأى بجانبه عني على غير ما أعهده فيه من لين الجانب وأنس الطباع .

(وإذا ما جُفيتُ كنتُ حَريًّا أن أُرى غير مُصبحٍ حيثُ أُمسي)

المعنى أنني إذا جُفيتُ وأُسيئتُ معاملتي على هذه الصورة من الناس عامةً ومن ابن عمي خاصةً كنت حَريًّا وجديراً بأن لا يراني الناس باقياً وقتَ الصباح في المكان الذي عومِلت فيه بالجفاء وقتَ المساء بل أرحل من فوري .

(حضرتْ رحلي الهُمومُ فوجهـــتُ إلى أبيض المدائن عَنْسي)

(الرحل) للبعير كالسرج للفرس والإكاف للحمار ثم صار الرحل يطلق على

المثوى أي موضع الإقامة حيث توضع الرحال عادة عن ظهور الإبل وهذا هو المعنى المراد هنا . والهموم جمع هم بمعنى الحزن والغم وهو فاعل حضرت ورحلي مفعوله مقدم عليه و (أبيض المدائن) أحد قصور إيوان كسرى كما تقدم سمي بذلك لما يأتي في وصفه من بياض شرفاته و (العنْس) بفتح العين وسكون النون الناقة الشديدة (يقول) إن الهموم والأحزان لمّا ألَمّتْ به وخيّمت على منزله وجّه راحلته شطر مدائن كسرى وقصرها الأبيض . ولعل منزله كان يومئذ في بغداد وقد ارتاع من مقتل (المتوكل) إذ كان قد شهد (أي البحتري) الحادثة كما وصف ذلك في قصيدة رثائه للمتوكل التي مطلعها :

(محلٌ على القاطول أخلقَ داثره وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره)

فأحب أن يرحل الى الإيوان فيفرّج كربه برؤية ما فيه من عجائب البناء وغرائب الصور والتماثيل .

(أتسلّى عن الحظوظ وآسى لمحلٍ من آل ساسان دَرْسِ)

يريد (بالحظوظ) حظوظ الدنيا وخيراتها التي تخطته الى غيره من الناس فكان هو محروماً منها ، وهم المتمتعون بها . وكأنَّ حرمانه إياها هاج في نفسه اللوعةَ والأسف وما كان ليخفف من برحاء ذلك إلا رؤيته مصائبَ غيره فيحزن لمصائبهم، ويكون في طي ذلك الحزن شيءٌ من تخفيف حزنه هو . على حدّ قول ابن دريد (وفي خطوب الناس للناس أُسَى) . وقوله : (وآسى) أي أحزن (لمحلٍ) أي مكان حلول وإقامة وهو الإيوان و (دَرْس) بفتح الدال الطريق الخفي والدِرس بكسر الدال (وقد تفتح) الثوب البالي كالدَّريس وهو المراد هنا فيكون شبّه بِلى القصر ببِلى الثوب . ويجمع (درس) بالكسر على أدراس ومنه قول أبي تمام :

(ما في وقوفك ساعةً من باس نقضي ذمام الأربع الأدراس)

و (آل ساسان) هم الطبقة الأخيرة من ملوك فارس التي قضى عليها الإسلام وقد تشتّت أفرادها في ذلك العهد كتشتت أفراد ملوك الروس من آل رمانوس وملوك الترك من آل عثمان في أقطار المعمور، وكان بعض أولئك الساسانيين يطوفون البلادَ مُكدين مُستجدين. ويذكرون من نسبهم ما يرقّ القلوب عليهم ثم أخذ الشحاذون الآخرون ينتمون الى ملوك ساسان كذباً واستدراراً لصدقات الناس. ومن ثم يُسمى الشحّاذون (أبناء ساسان) أما كلمة ساسان فيقول بعضهم في تحليلها إنها محرفة عن كلمتي (شاه شاهان) أي ملك الملوك فعربت شينها الى سين وخففت بحذف الهاءين فأصبحت (ساسان). والمعنى أن البحتري شخَصَ الى الإيوان ليسلّي نفسه عن الخطوط التي فاتته برؤيه قصور آل ساسان الدارسة البالية ويحزن ويرقّ لها، ففي ذلك تخفيف لهمّه وحزنه.

(ذكَّرتنيهمُ الخطوبُ التَّوالي ولقد تُذكِرُ الخطوبُ وتُنسي)

ضمير (ذكرتنيهم) لآل ساسان و (التوالي) جمع تالية أي تابعة ولاحقة ولعله يشير بالخطوب التوالي الى الخطوب التي صُبَّت على الخلافة العباسية بقتل المتوكل، فهذه المصيبة التالية أي التابعة لخطوب آل ساسان ذكّرته بآل ساسان أنفسهم، ومن أجل ذلك شدّ الرحال الى آثارهم في عاصمتهم (المدائن) ليراها ويرى قصرها الأبيض والخطوب التي حاقت بها ويقارن بينها وبين الخطوب التي نزلت ببغداد وقصرها (الجعفري) الذي جرت فيه حادثة قتل المتوكل. وقوله (ولقد تُذكر الخطوب وتنسي) يريد أن خطوب الدهر أحياناً يذكّر بعضها ببعض وأحياناً يغطّي بعضها على ذكر بعض فيُنسي اللاحقُ السابقَ والمتأخرُ المتقدمَ، أو المعنى أن الخطوب تذكر بخطوب مثلها في الخطورة والشدة بينما هي تنسي ما كان دونها في العظم والهول.

(وهمُ خافضون في ظلّ عالٍ مُشْرِفٍ يُحسِرُ العيونَ ويُخسِي)

قوله (وهمُ خافضون) حال من الضمير في (ذكرتنيهم) أي ان الخطوب ذكرتني بآل ساسان حالة كونهم (خافضين) أي وادعين آمنين ليّني العيش في قصورهم .
و (عالٍ) صفة لمحذوف . أي قصر عالٍ يعني به الإيوان أو القصر الأبيض .
و (مُشرف) مرتفع ولشدة ارتفاعه يُحسِرُ عيون الناظرين اليه ويُخسِؤُها أي يردّها حسرَى كليلة . وقوله (يُخسِي) بالياء في آخره أصله (يخسئ) بالهمزة خُففت بقلبها ياء . وهو من (أخسأه) تعدية خَسَأَ البصر خُسوءً و (يُحسِر) تعدية (حَسَرَ) البصرُ حسوراً كلاهما بمعنى كَلَّ البصر وأعيا بحيث لم يعد يستطيع النظرَ ثانيةً . يقول إنه تذكّرهم وهم ناعمون ترِفون في إيوانهم الذي يرتدّ عنه الطرف كليلاً لارتفاعه .

(مُغْلَقٍ بابُه على جَبَل القبْق إلى دارتَي خِلاطٍ ومُكْسِ)

(مغلق) بالجر صفة لقوله عالٍ في البيت قبله أي ان ذلك القصر العالي أغلق بابه على جبل (القَبْق) وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللاّن في تخوم آذربيجان . وضبطه ياقوت القبْق بالسكون أما صاحب التاج فضبطه بتحريك الباء فكأنّ الشاعر سكّنه للضرورة . وباب الأبواب هي المدينة المسماة (دَرْبَنْد شِروان) على الساحل الغربي من بحر الخزر ، فجبل القبْق إذن هو جبل قفقاسيا المسمى أيضاً جبل القفْج والقفجاق وكلها أسماء محرف بعضها عن بعض .
أما ان القبَق هو جبل قفقاسيا نفسه فيستدل عليه أيضاً من قول صاحب (مراصد الاطّلاع) عند الكلام على مدينة (باب الأبواب) - وسميت باب الأبواب لأنها أفواه شِعاب في جبل القبق وكل فم شِعْب بابٌ يوصل الى قُطر من الأقطار
و (خلاط) مدينة مشهورة في أرمينية على ساحل بحيرة (وان) وهي ما زالت الى اليوم . أما (مُكس) نبضم الميم كما ضُبط في معجم البلدان بالشكل قرية

عامرة في بلاد أرمينية أيضاً واقعةٌ بين خِلاط وأرزروم . و (الدارة) كل أرض واسعة بين جبال . فخِلاط ومُكس كلاهما واقعتان في دارتين ، والمعنى ان الايوان متنامي الأطراف متسع الباحات فمن دخله وأغلق بابه لا يظن أنه أغلق بابه على قصر بل على بلاد شاسعة تمتد من جبال القبق الى بلاد خِلاط ومُكس . وبينهما مسافات شاسعة .

(حِلَلٌ لم تكن كأطلال سُعدى في قفارٍ من البسابس مُلْس)

(حِلَل) جمع حِلّة بكسر الحاء المنزل يحل به القوم ، والقوم الحالّون في الحِلّة أنفسهم و (البسابس) جمع بسبس القفر . و (مُلْس) جمع أملس وهو ذو الملاسة . والملاسة النعومة . والنعومة إنما تأتي من عدم وجود شيء على سطح الجسم . فهذه القفار ملساء أي جرداء لا شيء على سطحها من شجر أو نبات . وقالوا (فلاةٌ إمليس وبيدٌ أماليس) أي ليس فيها نبات .

والمعنى أن تلك الحلل والمنازل التي كانت تسكنها الأكاسرة هي ذات شأنٍ وخطورة بالرغم من اندراسها وعَفاء أثرها وليست كتلك الأطلال المنقطعة في القفار الجرداء والتي يولع بذكرها شعراء العرب وينسبونها الى سُعدى ويكثرون من وصفها والتغنّي بها : فشتان بين هذه الحلل ذات الروعة والهيبة والجمال . وتلك الحلل حِلل سعدى ولُبنى والرباب التي ليس فيها من آثار الجمال سوى بعر الظباء . وأوتاد الخيام . وأثافي المواقد . وكأن البحتري يتكلم بلسان الشعوبية الذي أُهيج به أبو نواس مذ قال :

(عاج الشقيُّ على رسمٍ يسائله وعجت أسأل عن خمّارة البلد)
(يبكي على طَلَلِ الماضين من أسدٍ لا درّ درّك قُل لي مَن بنو أسد ؟؟)

* * *

(ومساعٍ لولا المحاباةُ مني لم تُطِقْها مَسَاعةُ عَنْسٍ وعَبْسِ)

(مساع) جمع مسعى ومسعاة بمعنى السعي لكنَّ المسعاة والمسعى السعي الشريف في عمل المكارم . كما أن السِعاية على العكس إذ يُراد بها النميمة والوشاية . وأراد بالمساعي هنا مساعي الأكاسرة وأعمالهم الجليلة التي نشاهد آثارها في بناء الإيوان .

إن البناء اذا تعاظم قدرُه أضحى يدل على مَقام الباني

و (المحاباة) المسامحة والتساهل في الأمر وعدم التشدد فيه . و (عنس) اسم قبيلة مشهورة في اليمن و (عبس) قبيلة أخرى أشهر منها في الحجاز .

كأن البحتريَّ أدرك أنه في بيته الأول (حلل لم تكن كأطلال سعدى) كاد يزلق الى الشُّعوبية . ويخون أمته العربية . لذلك عاد فتماسك في البيت الثاني وقال (ومساعٍ لولا المحاباة مني الخ) يريد أن من تأمل في إيوان كسرى آنس فيه مساعيَ فارسية مجيدة . ثم قال ولولا التساهل مني والتسامح لقلت إن قبائل قومي العرب كعنس وعبس لا تُطيق أمثال تلك المساعي والأعمال أي إن للفرس أعمالاً مجيدة أكادُ أقول إن العرب لا يُطيقونها ، لكنني لا أقول ذلك محاباةً لقومي . وميلاً اليهم . وإبقاءً على كرامتهم . ففي البيت إيجاز يكاد يخلُّ بالمعنى تقديره أو تقويمه أن يقال هكذا : وللفرس مساعٍ لولا حبّي لقومي لكنت قلتُ إنه لم تُطقها مَسعاةُ قبائلهم لكنني لا أقول ذلك محاباةً لقومي .

على أن البحتري اذا لم يقل ذلك صراحةً فقد قاله ضمناً أو تعريضاً بحيث يوقع في نفس السامع أن الفرس بأنون من أعمال المجد بما لا تطيقه العرب : ففي البيت رائحة خبيثة من الشعوبية ، إلا أن يكون المعنى هكذا (للفرس مساعٍ لولا محاباتي لهم أي للفرس لقلتُ إن قومي العرب لا يطيقونها لكن محاباتي للفرس جعلتني أقول إنهم يطيقونها) وليس حَمْلُ المعنى على هذا الشكل بصحيح

لأنه صرح بالنفي مذ قال لم تطقها مسماة عنس وعبس فالمعنى الأول هو الصواب ولعل البحتري تأثم من تهمة الشعوبية فاضطرب ولم يعرف كيف يقول .

(نَقَلَ الدهرُ عهدَهن عن الجِـــدَّةِ حتى غدونَ أنضاءَ لُبس)

ضمير عهدهن يرجع الى الحِلَل) و (الأَنضاء) جمع نِضو بكسر أوله وهو كما يُستعمل في معنى المهزول من الحيوان يستعمل في معنى الدريس البالي من الثياب وقد أجراه هنا وصفاً للحلل أي منازل ايوان كسرى و (لُبْس) بضم اللام مصدر لَبِس الثوبَ . والمعنى أن الدهر نقل عهد منازل الإيوان وغيَّرها عن حالة الجدة حتى أصبحت مندرسةً باليةً بِلى الثياب التي لُبِست كثيراً .

(فكأنَّ الجرماز من عَدَمِ الأُنــــس وإخلاقِهِ بَنِيَّةُ رَمْس)

(الجرماز) اسم قسمٍ خاص أو جناح خاص من الإيوان كما مر ، وقالوا في تعريفه إنه بناء عظيم كان عند (أبيض المدائن) ثم درس أثره . وقوله (عدم الأُنس) بضم الهمزة ضد الوحشة كأنه قال من الوحشة ، أو هو بكسر الهمزة بمعنى الناس وبمعنى الأنيس : وقوله و (إخلاقه) مصدر أخلق اذا بَلِيَ وهو معطوف على عدم الأنس وضميره يرجع الى الجرماز . والإخلاق أصله للثوب لكنه استعمله في بِلى المكان وكثيراً ما استعملوا ألفاظ هذا في هذا . و (بَنِيَّة) فعيلة من بنى يبني أي مبنية . و (الرَّمْس) القبر غير المستشرف وهو المستوي مع وجه الأرض . يقول ان قصر (الجرماز) أصبح لوحشته أو لعدم وجود الأنيس فيه ولإخلاقه وذهاب آثاره كالرمس الذي بُني على مساواة سطح الأرض ، فما زالت تطؤه الأقدام ، وتتعاوره الرياح حتى اندرس وعفا أثره .

(لو تراه علمتَ أنَّ الليالي جَعَلَتْ فيه مأتماً بعد عُرْسِ)

أي انك اذا نظرت الى الجرماز خُيِّل اليك أنه كان عُرساً اجتمعت

فيه النساء يلهون ويرقصن ويغنين فحولته صروف الليالي الى مكان اجتمعت فيه النساء يبكين ويندبن وينحن على الموتى من ساكنيه · ولو قيل (فيه مأتماً) مكان منه مأتماً لكان حسناً ·

(وهو يُنبيك عن عجائب قوم   لا يُشاب البيان فيهم بلَبْس)

(اللَّبْس) بفتح اللام بمعنى الالتباس والاشتباه يقول إن الجرماز يُخبرك بعجائب من أمر هؤلاء القوم الذين بَنَوْه وأقاموا فيه · وبيان الجرماز (أي لسان حاله) وإفصاحه عنهم لا تشوبه شائبةُ التباس فيهم وفي ما وصفهم به من العَظَمة ورفعة الشأن وقوة السلطان : أو المعنى أن الجرماز يُخبرك بعجائب قوم لهم - بمجرد النظر الى آثارهم - بيانٌ وإفصاح عن أمرهم وعما كان لهم من العظمة ورفعة الشأن بحيث أن بيانهم عن أنفسهم هذا لا يشوبه التباس ولا اشتباه في صدقه ومطابقته للواقع ·

(يتبع)   المغربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ١ -

(المدخل)

إن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم ، وإنْ بلغ أهلُ السنة أضعافَ الشيعة عَددا ، وإن أضر شيء في الأمة الواحدة هو العصبية الموروثة والتفرق القديم ، « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيَعًا لست منهم في شيء » .

وقد كان ينبغي على كل مَن يدّعي الحب والولاء للامام عليّ (عليه السلام) أن يأخذ بأدبه وَهدْيه ، ويقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، وها هي ذي أقواله وأعماله في « نهج البلاغة » وغيره .

لقد بايع علي للأئمة الثلاثة مِن قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقاً لما أخبر به جدّه الصادق الأمين ، عليه وآله الصلاة والتسليم . في (نهج البلاغة) أنّ علياً سُئل عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر فرّوا ! قيل أفمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كُسالى ، قيل فما هم ؟ قال : قوم بغَوا علينا فقاتلونا وقاتلناهم . وفي (نهج البلاغة) أيضاً أنه قال - وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين - : إني لأكره أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتُم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر .

قلت : ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقصون ماجرى بين الصحابة (رضي الله عنهم) ويصفون أعمالهم ، ويذكرون حالهم ، ولكنهم يؤولون التشاجر بينهم تأدباً معهم واحتراماً لصحبتهم ، وحفظاً لكراماتهم ، وحسن بلائهم في نشر الدعوة الإسلامية . على أنه قد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفين ، وحسابنا وحسابهم على رب العالمين :

ولبس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديه

وقد كنت قرأت كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) ومعه شرح عقائد شيخه ابن بابويه القمي المعروف بالصدوق (م ٣٨١ هـ) فرأيت فيها بعض ما في غيرهما – كالكافي والتهذيب والوافي – من الأحكام الصادرة : باللعن والتكفير والتخليد في النار ، لمن أورثوهم الأرض والديار !! قلت : لا شك أن هذه الكتب تورث قراءها وغيراً وحقداً ، وعداء وبغضا ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن ، ولم نر انتقاداً ولا اعتراضاً على الكتابين الأولين ممن صححوهما ، وهم ثلة من أشهر مجتهدي الشيعة في عصرنا . بل رأينا حركة الطبع والنشر قد قويت في العراق وإيران والشام ، وصدرت منها كتب كثيرة ، في هذه الأعوام الأخيرة ، وكلها ردود على السنيين ، وزراية على أهل المفاخر والمآثر في الإسلام ، وهي لا تعدو أمهات المسائل التاريخية التي وقعت في الصدر الأول والأحداث التي تلتها .

ولما كانت هذه الوقائع قد أحاط بها خبرا شيخ الشيعة الإمامية في عصره ابن المطهر الحلي (م ٧٢٦) في مؤلفه الذي سماه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) وأجابه عنها واحدة فواحدة إمام السنة أحمد بن تيمية (م ٧٢٨) في

ردّه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) في أربعة أجزاء، جاء الحافظ الذهبي (م ٧٤٨) واختصره بكتاب سماه (المنتقى) وقد حققه وعلق حواشيه ووقف على طبعه الكاتب الكبير السيد محب الدين الخطيب، (طبع سنة ١٣٧٤ هـ) . وقد أهديت منه نسخ الى المجمع العلمي بدمشق، ولبعض الفضلاء، والمهدي هو الأستاذ السلفيّ الشهير الشيخ محمد نصيف عين أعيان الحجاز، كما أهدي الى المجمع العلمي وبعض أعضائه من كتب الشيعة أيضاً، ومنهم كاتب هذه السطور، وقد وصفنا بعضها في باب «التعريف والنقد» من مجلة المجمع .

ونصف الآن كتاب (المنتقى) الذي يقع في مجلد ضخم يقرب من ستمائة صفحة بالقطع المتوسط، وهو يشتمل على فصول كثيرة في إمامة الخلفاء الراشدين، وما ظهر على أيديهم من الخير العظيم . ومجمل القول: إن ابن المطهر ينفي الخصائص ويثبت النقائص، للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ويتعقبه ابن تيمية فيثبت العكس، وهما إماما السنة والشيعة في عصرهما، وقد كتب من جاء بعدهما في موضوع الإمامة الكبرى، ولكن الحملة قد اشتدت في هذا الزمن العصيب على السنيين، وان اختلفت كتب الشيعة وردودهم في الأسلوب قوة وضعفاً، وقسوة ولينا .

ولمّا كانت مجلة مجمعنا العلميّ تعنى بنشر حقائق التاريخ، مصفاة من الشوائب، بعيدة عن عصبية المذاهب، مسجلة ما يجب تسجيله من الوقائع والحوادث، لا سيما ما كان بأقلام الأعلام - رأينا أن نثبت فيها شذرات من هذا الحوار، موردة بغاية الاختصار، مغنية عن قراءة هذه الكتب التي ظهرت وستظهر في أمر الخلافة العظمى، وما جرى بين الصحابة الكرام في شأنها، وقد افتتن الناس بها، وتعادوا من أجلها هذه القرون الطويلة، ولكن أجوبة الإمام

ابن تيمية التي أوجزناها وأجملناها هنا بالكلم الوجيز كما سنراها - جواباً من كل سني ، وجعلنا كلَّ ما نقلناه عن الأستاذ (الخطيب) بين قوسين . ونبدأ القول بايراد فصل عقده كتاب (المنتقى) في تقديم الخلفاء الأربعة بترتيبهم الزمني ، سلك فيه الإمام ابن تيمية طريقة المعقول ، الموافقة لصريح المنقول قال [1] (رحمه الله تعالى) :

(فصل) وهنا طريق يمكن سلوكها لمن له معرفة بالأخبار ، فإنَّ كثيراً من العلماء يتعذر عليهم التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد ، وإنما ينهض بذلك جهابذة الحفاظ : نُقدّر أن الأخبار المتنازع فيها لم تكن ، فنرجع الى ما هو معلوم بالتواتر ، أو بالعقل والعادات ، أو ما دلت عليه النصوص المتفق عليها فنقول : من المتواتر أن أبا بكر لم يطلب الخلافة برغبة ولا برهبة ، فلا بذل فيها مالا ، ولا شهر عليها سيفاً ، ولا كانت له عشيرة ضخمة ولا عدد من الموالي تقوم بنصره كما جرت عادة طلاب الملك ، بل ولا قال : بايعوني ، وانما أشار ببيعة عمر أو ببيعة أبي عبيدة ، ثم من تخلف عن مبايعته لم يؤذه ولا أكرهه عليها كسعد بن عبادة . ثم الذين بايعوه طائعين ، هم الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة ، الذين رضي الله عنهم ، فقاتل بهم المرتدين ، وفارس والروم ، وثبّت بهم الإسلام وأهله ، ولا أكل منها ولا لبس إلا كعادته وعيشه ، فلما جاءه اليقين ، خرج منها أزهد مما دخل فيها ، ولم يستأثر فيها بشيء عنهم ، ولا آثر بها قرابته ، بل نظر الى أفضلهم في نفسه فولاه عليهم (وهو عمر رضي الله عنه) فأطاعوه كلهم ففتح الأمصار ، وقهر الكفار ، وأذل أهل النفاق ، وبسط العدل ، ووضع الديوان والعطاء ، لازماً لعيش من قبله في مأكله ومشربه وملبسه ، حتى خرج منها شهيداً لم يتلوث لهم بمال ،

---

(١) (ص ٤٨٢) من المنتقى .

ولا ولّى أحداً من أقاربه ولاية ، هذا أمر يعرفه من يعرف وينصف . ثم بايعوا عثمان كلهم طوعاً منهم ، فسار ، وبنى على أمر قد استقر قبله ، بسكينة وحلم ، وهدى ورحمة ، وكرم ولين ، لكن لم تكن فيه قوة عمر ، ولا سياسته التي بهرت العقول ، ولا كمال عدله الذي ملأ الوجود ، ولا فرط زهده الذي ما ينكره إلا جاهل . فطمع فيه الناس بعض الطمع ، وتوسعوا في الدنيا ، وكثرت عليهم الأموال ، ودخل - بسبب توليته أقاربه - عليه الداخل ، وأنكرت منه أمور ما اعتادها الناس قبله ، وتولد من رغبة بعض الناس في الدنيا - وضعف خوفهم من الله تعالى ، ومنه ومن ضعفه هو ، بالنسبة إلى كمال الذين قبله ، ومما حصل من أقاربه في الولاية والمال ، - ما استحكم به الشر ، وحرك الفتنة ، حتى قتل مظلوماً ، وذبحوه صبراً .

فتولى علي رضي الله عنه والفتنة قائمة ، وأتهم بالتخلي عن عثمان حتى قتل ، وبعضهم اتهمه بدمه ، والله يعلم براءته من دمه ، ثبت عنه أنه لم يرض بقتله ولا أعان عليه ، فلم تصف قلوب كثير منهم ، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه ، ولا اقتضى رأيه الكف عن القتال حتى ينظر ما يؤول اليه أمره كما أشار عليه ولده الحسن .

فظن أن الطاعة تحصل ، والأمة تجتمع بالقتال ، فما زاد الأمر إلا شدة وافتراقاً ، حتى خرج عليه من جنده ألوف ومرقوا ، وكفروه وقاتلوه قاتلهم الله ، حتى كان في آخر أمره يطلب هو الكف عن قتال من لم يطعه ، فكان آخر الخلفاء الراشدين الذين ولايتهم خلافة النبوة .

ثم آل الأمر الى معاوية أول الملوك كما قال عليه الصلاة والسلام « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وسيرة معاوية من أجود سير الملوك بالنسبة » اهـ .

هذه فلسفة عقلية للامام ابن تيمية في شأن الخلافة الإسلامية ، وتولية الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد جاءت طبيعية كما ترى . ومن هنا نبتدئ بذكر نماذج من الحوار الذي دار بين ابن المطهر وابن تيمية ، جاعلاً إياه على طريق السؤال والجواب ، مجرداً عن التنابز بالألقاب ، لتتجلى شمس الحقيقة للناظرين ، لا يغشاها حجاب ولا سحاب ، ونرمز للأول بحرف الميم ، وللثاني بحرف التاء .

(ابن المطهر) : «إن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... أخذوا دينهم عن المعصومين ، وغيرهم اختلفوا ، وتعددت آراؤهم وأهواؤهم ، فمنهم من طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا» .

(ابن تيمية) : هذا الصنف هو أشرف الأمة ، وقد قال سبحانه في شأنهم : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» الآية . فوعدهم الاستخلاف ، وأخبر برضاه عنهم ، وبأنهم متقون ، وبأنه أنزل السكينة عليهم . وهذه النعوت منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فانه إذ ذاك الزمان حصل لهم الاستخلاف ، وتمكين الدين والأمن بعد الخوف ، الى أن قهروا فارس والروم ، وافتتحوا الشام والعراق ، ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً ، بل طمع فيهم الروم وغيرهم .. وأريقت الدماء ، فأين ما بعد قتله مما قبله ؟؟

(م) فاذا قلت : إن أبا بكر ومبايعيه طلبوا الدنيا والرياسة .

(ت) (فالجواب أن أبا بكر) : بويع باختيارهم بلا سيف ولا عصا ، واستوسق له الأمر فلم يولّ أحداً من أقاربه ، ولا خلّف لورثته مالا ، وأنفق مالاً كثيراً في سبيل الله ، وأوصى الى بيت مالهم ما كان عنده ، حتى قيل : يرحمك الله أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك ، وما قتل مسلم على إمارته ، بل قاتل بالمسلمين المرتدين والكفار ، فلما احتضر استخلف على الأمة القوي

لأمين العبقري (عمر) لا لقرابة ولا لنسابة ولا لدنيا، بل اجتهد للمسلمين، فحمدت فراسته وشكر نظره، بالذي افتتح الأمصار، ونصب الديوان وملأ بيت المال، وعمّ الناس بالعدل، مع ملازمته لهدي صاحبه وخشونة عيشه، وعدم توليته أقاربه، ثم ختم الله له بالشهادة».

(م) نقلك عن أهل السنة: أن العبد لا تأثير له في الكفر والمعاصي:

(ت) نقل باطل، بل جمهور من أثبت القدَر يقول: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، وان له قدرة واستطاعة، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية، بل يقرّون بما دلّ عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح، وينزل الماء بالسحاب، وينبت النبات بالماء، والله خالق السبب والمسبب.

(القول الثاني) ان الظلم مقدور لله منزه عنه كتعذيب الإنسان بذنب غيره، كما قال تعالى: «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظلماً ولا هضماً» وهؤلاء يقولون: الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياري مستقرّ في فِطَر العقول، ويقولون: الاحتجاج بالقدَر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل، فان الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدَر أيضاً فالاحتجاج على فعل المعاصي بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء، وانما يحتج به مَن اتبع هواه كما قيل: أنت عند الطاعة قدَريّ وعند المعصية جبريّ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحدا، ولا أن يعاقب أحد أحدا.

(م) وذهب مَن عدا الإمامية والإسماعيلية الى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والسرقة».

(ت) ما ذكرته عن الجمهور في تجويز ذلك على الأنبياء (باطل) فانهم متفقون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة، وطاعتهم واجبة

إلاّ عند الخوارج ، والجمهور يجوزون عليهم الصغائر وانهم لا يُقرّون عليها .
وأما عصمة الأئمة فنعم كما قال ، لم يقل بها إلاّ مَن ذكر ، وناهيك بقول عَريّ عن الحجة ، قالوا : إن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف ، قلنا : فهذا الغائب المنتظر المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف سواء كان ميتاً كما نقول ، أو حياً كما تزعمه الإمامية .. ثم لم يحصل بعده أحد من الاثني عشر له سلطان إلا علي كرم الله وجهه . ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم مما كان في زمانه من الفرقة والفتنة والقتال ، والله قد أمرنا بالرد عند التنازع الى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لوجّه الرد اليه .

(م) وهم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي (ﷺ) وأهملوا أقاويل الصحابة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ت) فالجواب أن هذا وارد عليكم ، فالزيدية تقول بالقياس ، ثم قوله : « أدخلوا في دين الله ما ليس منه » فهذا ليس في طائفة أكثر (من الإمامية) ... حيث قالوا « مرج البحرين » علي وفاطمة « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » الحسن والحسين « في امام مبين » علي « وآل عمران على العالمين » آل أبي طالب وسموا أبا طالب عمران ، « والشجرة الملعونة » بني أمية « أن تذبحوا بقرة » عائشة « لئن أشركت ليحبطنّ عملك » لئن أشركت بين أبي بكر وعمر ، ونحو ذلك مما وجدته في كتبهم ، ومن ثمّ دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والمحرّمات .

(م) وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهملوا أقاويل الصحابة !

(ت) متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع الصحابة نحن أو انتم ؟ ومن الذي كفّرهم وضلّلهم ؟ ... انه لم يكن في

العترة النبوية - بني هاشم - على عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) من يقول بامامة اثني عشر ، ولا بعصمة أحد بعد النبي (ﷺ) ولا بكفر الخلفاء الثلاثة ، بل ولا من يطعن في إمامتهم . ولما المذاهب فان الأربعة لم يكونوا في وقت واحد . ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمرَ الناس باتباعه ، بل كان كل منهم يدعو الى متابعة الكتاب والسنة ، ويردّ على صاحبه ، وان قلت ان الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاقي .. والأربعة لم يخترعوا علماً لم يكن .. ثم لم يقل أهل السنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وأن ما خرج عنه باطل .... ولا شك أن القياس فيه فاسد ، وليس يوجب بطلان جميعه ، كما أن وجود الموضوعات في المرويات لا يوجب بطلان جميع الحديث .

(لشيخ الإسلام رسالة في بيان القياس الصحيح والقياس الفاسد ، ولتلميذه الإمام شمس الدين بن القيم تحقيق واسع في ذلك ، وسبق لنا جمعها في كتاب عنوانه « القياس في الشرع الإسلامي » (الخطيب)

(م) ثم ذكر (أي ابن المطهر) حديث ابن عمر : « يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ... الحديث » .

(ت) قلنا : ذا حجة عليكم ، فان لفظه « يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي » يعني اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن) . ثم قد رُوي عن علي (رضي الله عنه) أنه من ذرية الحسن ، لا الحسين .

(م) فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال .

(ت) إن دعوى العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة إلا ما ادعاه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفاً ومصلحة في التكليف . وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها أن هذا - أي اللطف والمصلحة -

مفقود لا موجود ، فانه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا ، ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف ، لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ؟

(م) لم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي .

(ت) كلام باطل ، فان علماء أهل السنة المعروفين بالعلم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يُقتدى بأحد في معصية الله ، ولا يتخذ إماماً في ذلك ، وان أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج اليه في طاعة الله ، ويعاونونهم على ما يفعلون من طاعة الله ، فيقال له : ان كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذوراً ، (فالإمامية) أدخل منهم في ذلك [والنصير الطوسي شيخ المؤلف مثل واضح على استعانة علمائهم بالملوك الكفار والفجار ، وإعانتهم والعمل في خدمتهم . وهو المسئول مع عدو الله ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد ، عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هلاكو في أمة محمد (ﷺ) سنة ٦٥٥ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد بخيانة ابن العلقمي ومستشاره ، وتحريض هذا الفيلسوف) .

(م) ومنع أبو بكر فاطمة إرثها ، والتجأ الى رواية انفرد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحل له ؟ لأن النبي (ﷺ) قال : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» على ما رووه عنه .

(ت) بل رواه - أي هذا الحديث - عن النبي (ﷺ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف والعباس ، وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وقوله : كان الغريم لها : إن أبا بكر لم يدع التركة لنفسه ، وإنما هي صدقة

لمستحقها . وأيضاً فتيقن الصحابة ، وأولهم علي رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) لا يورث ، ولهذا لما ولي علي الخلافة لم يقسم تركة النبي (ﷺ) ولا غيرها عن مصرفها ، وعموم آية الميراث قد خص منه هذا ، وانه لا يرث الكافر، ولا القاتل عمداً ، ولا العبد وغير ذلك . ثم إن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد أعطيا علياً وبنيه (رضي الله عنهم) من المال أضعاف ما خلفه النبي (ﷺ) . وما خلّفه النبي (ﷺ) فقد سلمه عمر الى علي والعباس (رضي الله عنهم) يليانه ويفعلان فيه ما كان النبي (ﷺ) يفعله ، وهذا مما ينفي التهمة عن أبي بكر وعمر .

[لو كان إرثنا لما كان مختصراً بفاطمة ، بل هو إرث زوجاته أمهات المؤمنين أيضاً ، فالذي وقع لفاطمة من أمر الإرث المزعوم وقع مثله لعائشة وحفصة وسائر أمهات المؤمنين ، ووقع مثله لعمه العباس ... ومع ذلك فان ربع فدك وخمس خيبر أبيح لآل البيت يأكلون منه حاجتهم ، كما كانت الحال في حياته (ﷺ) والباقي صرف حيث كان يصرف النبي (ﷺ) ما زاد عن حاجته منه] .

(م) وأجمعوا على قتل عثمان !

(ت) إن الجمهور لم يأمروا بقتله ، ولا رضوه ، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة ، بل كانوا بالأمصار ـ من بلد المغرب الى خراسان ، ـ ولم يدخل خيار المسلمين في ذلك ، وانما قتله طائفة من المفسدين في الأرض ، من أوباش القبائل ورؤوس الشر . وعن علي قال : اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ، غاية ما يقال : انهم لم ينصروه ، وفتروا عن إعانته بما رأوه ، وما ظنوا أن الأمر يبلغ الى قتله .

ومن المعلوم أن المسلمين أجمعوا على بيعة عثمان ، وما أجمعوا على قتله ، فهلا كان الإجماع على بيعته حقا لتيقن الإجماع عليها ؟؟ ... إن عثمان من

أعيان السابقين الأولين من المهاجرين ، من طبقة عليّ وطلحة والزبير ، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته ، بل لم يشهر في الأمة سيفا ولا قتل على ولايته أحدا [ولما جاء البغاة المدينة للبغي عليه ، كانت جيوش عثمان ، ورجال الكفاح من الصحابة كلهم في ميادين القتال في الغرب والشرق الى أعمال آسيا التي يحكمها السوفييت الروسيون الآن(١)] .

(م) ان النبي (ﷺ) لعن معاوية الطليق ابن الطليق ، وقال : إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه .

(ت) هذا الحديث ليس في شيء من كتب الاسلام ، وهو عند الحفاظ كذب ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . [وقد رآه الحسين وغيره من الصحابة على المنبر النبوي ، وصلّوا كلهم وراءه ، لأنه كان إمامهم ، وخليفة رسول الله فيهم] . وأما قولك الطليق ابن الطليق ، فما هذا بصفة ذم ، فإن الطلقاء غالبهم حَسُن إسلامُهم ، كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامه ، وولاه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن يحابي ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم إن معاوية بقي على دمشق وغيرها عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ؛ ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه لقلوبهم .

---

(١) دخل الروس على أيدي الصحابة الكرام في دين الله أفواجا . وقد لبّى مجمعنا العلمي دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م . واجتمعت أنا هناك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا قثم ابن العباس (رضي الله عنهما) في سمرقند وشاهدنا جامع لينين گراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة « ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره » .

(محمد بهجة البيطار)

(م) وقاتل عليا وعلي عندهم رابع الخلفاء ، إمام حق ، وكل من قاتل إمام حق ، فهو باغ ظالم .

(ت) قلنا نعم ، والباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق ، وقد يكون بغيه مركبا من تأويل وشهوة وشبهة ، وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منــه عن الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية ، فطلب منه معاوية أن يخبره بما ينقمه عليه ، فذكر المسور أمورا ، فقال (أي معاوية) يامسور ألك سيئات ؟ قال نعم . قال : أترجو أن يغفرها الله ؟ قال نعم ، قال : فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ وإني مع ذلك والله ـ ما خيّرت بين الله وبين سواه إلا اخترت الله على ما سواه ، ووالله لما أليه من الجهاد ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من عملك ، وأنا على دين يقبل الله من أهله الحسنات ، ويتجاوز لهم عن السيئات» .

ثم أهل السنة تقول : الإمام الحق ليس معصوماً ، ولا يجب على الإنسان أن يقاتل معه كل من خرج عن طاعته . ولا أن يطيعه الإنسان فيما يعلم أنه معصية ، وأن بتركه أولى ، وعلى هذا ترك جماعة من الصحابة القتال مع علي لأهل الشام .

(م) إن معاوية قتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة .

(ت) الذين قتلوا من الطائفتين ، قتل هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء . وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون عليا ولا معاوية . وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غلبا فيما وقع . والفتنة اذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها .

(م) وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد ، مع ما صدر عنه من قتل الحسين ، وسبي نسائه في البلاد على الجمال بغير قتب ، وزين العابدين مغلول» .

(ت) أما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين ، باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب الى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما أراد الحسين (رضي الله عنه) أن يخرج الى أهل العراق ـ لما كاتبوه كتباً كثيرة ـ أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر ، وابن عباس أن لا يخرج ، وغلب على ظنهم أنه يقتل ، حتى ان بعضهم قال : أستودعك الله من قتيل ، وقال بعضهم : لولا الشناعة لأمسكتك ، ومنعتك من الخروج . وهم بذلك قاصدون نصيحته ، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين ، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك ، إذ لم يكن في الخروج مصلحة ، لا في دين ولا في دنيا ، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ﷺ) حتى قتلوه مظلوماً شهيداً . (ثم) إن عنيت باعتقاد إمامة يزيد أنه كان ملك وقته ، وصاحب السيف كأمثاله من المروانية والعباسية ، فهذا أمر متيقن ، وحكم يزيد على حوزة الاسلام سوى مكة ، فانه غلب عليها ابن الزبير ، وامتنع عن بيعة يزيد ، ولم يدع إلى نفسه حتى بلغه موت يزيد ، وهذا معنى كونه إماماً وخليفة وسلطاناً ، وأما كونه براً أو فاجراً ، مطيعاً أو عاصياً ، فذاك أمر آخر ، فأهل السنة اذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد أو عبد الملك أو المنصور أو غيرهم ، كان بهذا الاعتبار . وكذلك كونه عادلا في جميع أموره مطيعا في جميع أفعاله ليس هذا اعتقاد أحد من المسلمين ، وكذلك وجوب طاعته في كل ما يأمر به ، وان كان معصية لله ليس هو اعتقاد أحد من المسلمين ، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاج اليهم فيه من طاعة الله .

وكان قتل الحسين (عليه السلام) مما أوجب الفتن ، كما كان قتل عثمان (رضي الله عنه) مما أوجب الفتن ، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي (ﷺ) من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد

في المعاش والمعاد ، وأنَّ مَن خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ؛ ولهذا أثنى النبي (ﷺ) على الحسن بقوله : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ولم يُثنِ على أحد لا بقتال في فتنة ، ولا بخروج على أئمة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا بمفارقة الجماعة .

وقد ثبت في البخاري من حديث ابن عمر عن النبيّ (ﷺ) : «أول جيش يغزون القسطنطينية مغفور لهم» فأول من غزا القسطنطينية جيش بعثهم معاوية وعليهم ابنه يزيد ، وفيهم من سادات الصحابة أبو أيوب الأنصاري ، فحاصروها .

(م) وأما قوله (أي ابن المطهر) «السبي والحمل على جمال بلا أقتاب» .

(ت) (فالجواب) : ما استحلّت أمة محمد (ﷺ) سبي هاشمية ، وانما قاتلوا الحسين خوفاً منه ، ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر ، وبعث بآله الى المدينة ، ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضي به مستحق للعقاب . لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، وقتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

(م) ومنها (أي من فضائل علي كرم الله وجهه) ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً قال لسلمان : سَلِ النبي (ﷺ) مَن وَصِيُّه ؟ فسأله ، فقال : يا سلمان مَن كان وصيّ موسى ؟ قال : يوشع ، قال : فان وصيي ووارثي علي» .

(ت) هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل . وأحمد قد صنَّف كتاباً في فضائل الصحابة ، ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجماعة من الصحابة ، وذكر فيه ما رُوي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك .

ARCHIVE

[نقل المامقاني في كتابهم تنقيح المقال (٢ : ١٨٤) عن محمد بن عمر الكشي ـ رأس علمائهم في الجرح والتعديل ، وأول من فتح لهم باب التأليف فيه ـ ما نصه : « وذكر أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ، ووالى عليًا ؛ وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع بن نون (وصي موسى) فقال في إسلامه في علي مثل ذلك » فهذا نصٌّ عنهم صريح صحيح بأنّ مخترع لقب (الوصي) لعلي هو عدو الله بن سبأ . وما دام خبر أنس عن سلمان مكذوبًا من أساسه كما ستَرى ، فان الخبر اليقين هو الذي نقله المامقاني عن الكشي عن علمائهم أنّ صاحب الحق في هذا الاختراع هو ابن سبأ اليهودي .

وبذلك برّأ الله نبيه من هذه التهمة كما برّأ صاحبيه أنسًا وسلمان ، بل برّأ الله آخر رسالاته من أن توصم بهذا الاحتكار الذي تكون فيه الأمة يتيمة مسلوبة التصرّف ، تحت أوصياء من البشر ، آخرهم لم يلد ولم يولد ، وهي . . من بعدُ تائهة ضائعة راسفة في قيودها بين الأمم ، بينما رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسانية كلها ، وإطلاق العقول في الأخذ عن ينبوع هذه الهداية العظمى بالغة راشدة ليس عليها قيّم ولا وصي إلاّ هذا الشرع العالي القويم] .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

– ٥ –

نشأة « التصريف » وأثر ابن جني رحمه الله فيه :

علم التصريف أو علم الصرف هو صنو علم النحو وأخوه ، وكما أن النحو قد وجد لما أراد العلماء طرد القواعد لضبط أواخر الكلمات ونفي الشواذ ، كذلك وجد علم الصرف لما أراد العلماء ضبط صيغ الاشتقاق وطردها فوضعوا هذه القواعد العامة في الاشتقاق والابدال والاعلال [1] وما الى ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) نحب أن نذكر هنا رأي بروكلمان في نشأة هذين العلمين حيث يقول ما ترجمته : أوائل النحو والصرف ستبقى مجهولة الى الأبد لأن أمامنا قليل بالمثور على نصوص أقدم من النصوص التي بين أيدينا ؛ فلا يمكننا إذن أن نعرف أي مقدار أخذه النحاة العرب عمن سبقهم من النحاة الأقدمين . يقول الأستاذ Braunlichi براونليكي إن تأثير الأقدمين على النحو العربي لم يبدأ إلا مع سيبويه وإن من كان قبله من العلماء – كالخليل – كانوا عرباً أقحاحاً ، ولا يمكننا أيضاً أن نعتبر أن الخليل هو الواضع فقد كان قبله آخرون ، أما قصة أبي الأسود فهي الى الخرافة أقرب منها الى أي شيء آخر .

أما التصريف فيقولون إنه نشأ مع معاذ بن مسلم الهراء (– ١٨٩ أو ١٩٠) وليس معاذ إلا نحوياً [انظر النزهة : ٤٦ وابن خلكان : ٢/٩٩ والبغية : ٢٩٣] وقول ابن فارس في الصاحبي : ٤٢ : ان علم العربية خال من أي تأثير أجنبي غير صحيح وقد بحث ذلك مفصلاً Bravmann براومان في رسالته عن الحروف والمصادر العربية وقد طبعت في برسلو سنة ١٩٣٤ .

ولئن كان للنحاة أثر عظيم في جمع قواعد العربية وضبطها هذا الجمع والضبط المتينين فإن للصرفيين أثراً أعظم في استنباط هذه القواعد العامة التي يعرف بها كيفية اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول ، والمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم التفضيل ... وليس من شك في أن العرب الأقدمين لم ينطقوا بكل مشتقات مادة بعينها ولكن الصرفيين هم الذين أعطونا المفتاح الذي به استطعنا أن نقيس ونشتق هذه الأسماء .

وان هذا الاشتقاق هو الذي وسع موادّ اللغة العربية ، فقد نقل عن الامام سيبويه أن التصريف «هو أن تبنى من الكلمة بناء لم يبنه العربي على وزن ما بنيته ، ثم يعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه القياس» (١) . وقال ابن جني : التصريف هو أن تأتي الى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير (٢) . وهذا التعريفان يبينان لنا بوضوح أثر علم التصريف والصرفيين في توسيع اللغة العربية .

وليس من شك في أن هذا العمل الجليل لا يستطيع القيام به إلا عقل قد أوتي جانباً عظيماً من العمق وحب التنظيم وطرد الشواذ وكثرة الاطلاع على آثار العرب وفهم أشعارهم وكلامهم فهماً دقيقاً يكوّن لصاحبه ملكة الابداع والتصرف فيه .

وقد اجتمعت هذه الشروط في أئمة النحو البصريين الذين كانوا ــ الى علمهم الواسع بالعربية ولغاتها ــ على جانب عظيم من الذكاء وحب للجدل والكلام في أصول الدين .

قال أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى : «حينما بدأ الفقه في الكوفة كانت البصرة سبقت الى الكلام في أصول الدين وأصول الفقه وكان مجلس

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج ١ ص ٩٣١ طبع الاستانة .
(٢) التصريف الملوكي ص ٢ .

الحسن البصري يفيض بالمناقشات الدينية حول العقائد وأصول الدين والفتن التي غشيت المسلمين ، ومن تلك الحلقة نشأ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما من رؤوس المتكلمين ، ولم يكن للكوفة مثل هذا الحظ بل استعاضت عنه بدروس الفقه وتأصيله وتأسيس قواعده وذلك في مدرسة أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد وابن أبي ليلى ، ثم أخذت الكوفة في جمع الأشعار وتدوينها وكان حظها من ذلك عظيماً قام به المفضل الضبي وحماد الراوية وأبو عمرو الشيباني [١] » في تلك البيئة البصرية الحكيمة نشأ علم النحو كما نشأت فيها أوائل علم التصريف .

وقد كان النحاة الأولون كعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (— ١١٧) وعيسى بن عمر الثقفي (— ١٤٩) وأبي عمرو بن العلاء (— ١٥٤) والخليل بن احمد (— ١٨٠) وسيبويه (— ١٨٣) يمزجون أبحاث النحو بالتصريف كما نجد ذلك في كتاب سيبويه . ويزعم الكوفيون أن أول من بحث في التصريف بحثاً مستقلاً هو إمامهم معاذ بن مسلم الهراء (— ١٨٧) وأن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد هجاه لما رآه يبحث في التصريف فقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه ... كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني ... من التعجم في تلك الجرائيم

وقد ردّ معاذ بن مسلم على أبي مسلم هذا في أبيات ثلاثة . ويعلق السيوطي على هذه الحكاية بقوله : (ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا) [٢] .

---

(١) من محاضرات للأستاذ ابرهيم مصطفى ألقاها في كلية الآداب بالجامعة المصرية عام ١٩٣٢ — ١٩٣٣ .

(٢) البغية ص ٣٩٣ .

قلت : ولا شك في أن الأقدمين من البصريين والكوفيين جميعاً كانوا يبحثون في مسائل علم التصريف ، ولكن يظهر أن معاذاً هو أول من أكثر من البحث والتعمق فيه . وأول من ألف فيه من البصريين أبو عثمان بكر بن محمد المازني[1] (— ٢٤٧) كما أن أول من ألف فيه من الكوفيين هو الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الباهلي (— ٢٠٧) . أما الفراء فكان كما يقول الزبيدي في طبقاته : هو أبرع الكوفيين في علمهم وله كتب حسنة في القرآن وغيره . وقال ابن النديم : كان شديد العصبية على سيبويه وكان يتفلسف في تصانيفه[2] . وله من الكتب في علم التصريف : (المصادر في القرآن) و (الجمع والتثنية في القرآن) ، و (المقصور والممدود) و (أفعل وفعل) و (المذكر والمؤنث)[3] ، ولم يبق من آثاره هذه إلا كتاب معاني القرآن[4] ، ويظهر أن رسائله هذه كانت الى البحوث اللغوية أقرب منها الى البحوث الصرفية ولذلك لا ينبغي أن يعتد بها كثيراً في تاريخ نشأة علم التصريف ، وأما المازني ، الذي لم يكن بعد سيبويه أعلم منه بالعربية[5] ، فقد أبقى لنا كتاباً في التصريف يشهد بسعة علمه وتعمق بحثه ونحن اذا قرأنا هذا الكتاب علمنا أن المازني ، هو إمام الصرفيين غير مدافع[6] وقد وقع لنا كتابه العظيم بشرح ابن جني وهو من أجل ما ألف في هذا العلم . وكان أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى

---

(١) البغية : ٢٠٢ .

(٢) الفهرست : ١٠٠ وطبقات النحاة للزبيدي مخطوطتنا ص ١٧ رقم الترجمة (٤٠) .

(٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/٤٤ .

(٤) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/١١٨ .

(٥) بغية الوعاة : ٢٠٢ .

(٦) من الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في مكتبة كلية الآداب من الجامعة المصرية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعنى به من زمن حتى أخرجه للناس هذا العام مطبوعاً مع شرح ابن جني جزاه الله خير الجزاء [١] .

ومن البصريين الأول الذين لهم أثر في علم التصريف الإمام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السري الزجاج (— ٣١١) وله كتاب (الاشتقاق) وكتاب (فعلت وأفعلت) [٢] ؛ والإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (— ٣٢١) وله كتاب (الاشتقاق) وقد ذكر فيه اشتقاق الأسماء العربية وعمائرها وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها [٣] ؛ ومنهم ابن ولاد أبو الحسن محمد بن الوليد التميمي العالم المصري (— ٢٩٨) [٤] ومن آثاره الصرفية كتاب (المقصور والممدود) وهو خير ما كتب في هذا البحث [٥] .

وجاء بعد هذه الطبقة الإمامان الجليلان أبو الحسن الرماني وابن جني . وقد تقدم الكلام عن الرماني وإنما نريد هنا أن نشيد بأثره في علم التصريف بالكتاب المفيد الذي شرح به كتاب تصريف المازني المسمى بالألف واللام [٦] .

وأما ابن جني فهو كما رأيت البحر العباب الذي برع في التصريف براعة عظيمة ، وأنت اذا قرأت كتاب (المنصف) في شرح تصريف المازني أو (سر الصناعة) أو (التصريف الملوكي) وجدت أن الصرفيين بعده لم يزيدوا شيئاً على ما كتب في هذا العلم ، قال أستاذنا ابرهيم مصطفى : «وتعلمون

(١) نشرته وزارة المعارف المصرية بعناية الأستاذ ابرهيم مصطفى والسيد عبد الله امين في مطبعة البابي الحلبي سنة ١٩٥٤

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠ — ٩١ .

(٣) وقد طبع بعناية بعض المستشرقين في غوتنغن سنة ١٨٥٤ .

(٤) انظر أخباره في طبقات الزبيدي مخطوطتنا ص ٢٧ ورقم الترجمة (١٦١) والبغية : ١١٢ .

(٥) طبع في مصر سنة ١٩٠٨ .

(٦) البغية : ٣٤٤ ومفتاح السعادة ١٤٢/١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن ابن جني هو بلا خلاف أفضل من بحث في الصرف . وإذا علمنا أن الصرف بدأ برسالة المازني علمنا أن الصرف هو علم هذين الإمامين ويمكن أن نستشهد على فضل كتاب المازني وشرح ابن جني بما نراه في كتب اللغة قبله كالعين مثلاً من اضطراب ووضع للكلمات في غير مواضعها كما يلاحظ ذلك الزبيدي ..»[1]

قلت : ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغة إلا من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعاجم من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه وما نعرف بعد ابن جني عالماً كتب في التصريف وأجاد فيه ـ على أنه لم يأت بشيء جديد غير ما ذكره ابن جني ـ إلا الإمامان الكبيران عبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧٤) واحمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الأمثال (ـ ٥١٨) ؛ أما الجرجاني فقد ذكر مترجموه أن له كتاباً في التصريف اسمه (العمدة[2]) وأنا وإن لم أر هذا الكتاب ولا أعرف له وجوداً أظن أن الإمام الجرجاني قد استطاع أن يخدم علم التصريف لما عرف عنه من الفكر السليم والبحث الدقيق الذي يتجلى في كتابيه الباقيين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) . أما الميداني فقد بقي لنا من آثاره رسالة لطيفة اسمها (نزهة الطرف في علم الصرف) وهي رسالة جد حسنة تدل على علم واسع وتنظيم حسن لمباحث علم التصريف ولكن ليس فيها جديد غير ما نجده في كتب ابن جني[3] .

وما أعرف بعد هؤلاء عالماً كتب في التصريف إلا وهو معتمد على كتب ابن جني : مثل عبد الوهاب الزنجاني ، وعز الدين بن ابرهيم بن عبد الوهاب

---

(١) من محاضرات الأستاذ ابرهيم مصطفى عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ في كلية الآداب المصرية .

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/١٤٣ .

(٣) نشرت مطبعة الجوائب هذا الكتاب سنة ١٢٩٩ مع كتابين آخرين هما انموذج الزمخشري ، واعراب ابن هشام ؛ انظر بروكلمان ١/٢٨٩ وذيله ١/٥٠٧ .

الزنجاني الذي كان حيًا في سنة ٦٥٤ [١] فان له كتابًا في الصرف مشهورًا اسمه (العزى) وهو متأثر كل التأثر بابن جني في كتابيه (التصريف الملوكي) و (سر الصناعة) . وقد عظمت شهرة هذا الكتاب وشرحته جماهير كثيرة من العلماء منذ زمن مؤلفه حتى العصر الأخير [٢] ؛ ومثل موفق الدين بن يعيش علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الحلبي (ـــ ٦٤٣) وقد أفاد كثيرًا من كتب ابن جني وبخاصة في (شرح المفصّل) فقد ملأه نقولاً عنه [٣] ؛ ومثل ابن الحاجب ابي عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر المصري (ـــ ٦٤٦) صاحب (الشافية) في الصرف [٤] وآراؤها على جلالة قدرها صورة مصغرة عن آراء سر الصناعة وهي ممتازة بحسن التبويب والتصنيف . وقد اهتم الناس بها كثيرًا فشرحوها ونظموها وترجموها الى التركيـة والفارسية والأوردية ومن أعظم شروحها شهرة شرح احمد بن الحسين فخر الدين الجاربردي (ـــ ٦٤٦) وعليه حواش كثيرة ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي [٥] ؛ وشرح جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري (ـــ ٧٦٢) ؛ وشرح رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ـــ ٦٨٤) وهو شرح عظيم الفائدة جداً مملوء بالبحوث المفيدة وقد طبع عدة مرات في الهند وبلاد العجم ومصر [٦] . وهناك شروح كثيرة أخرى وحواش وتعليقات ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون [٧] .

---

(١) انظر كشف الظنون ٢/ ١١٥ .

(٢) انظر تلك الشروح والحواشي في الكشف ٢/ ١١٥ .

(٣) انظر مفتاح السعادة ١/ ١٥٨ .

(٤) انظر الكشاف عن مخطوطات الأوقاف تأليفنا ص ١٩٢ .

(٥) انظر بروكلمان : G. A. L. ١/ ٣٠٣ وذيله ١/ ٥٣٦ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٢ .

(٦) انظر اخبار الاستراباذي في بغية الوعاة : ٢٤٨ وبروكلمان G. A. L. ١/ ٣٠٥ وكشف الظنون الطبعة الجديدة ٢/ ١٠٢١ .

(٧) كشف الظنون ٢/ ٤٤ .

ومثل العلامة ابن مالك محمد بن عبد الله ، جمال الدين الطائي ، النحوي الدمشقي (— ٦٧٢) وقد كتب في التصريف كتباً خاصة ، وكتباً ممزوجة بالنحو فمن الكتب الخاصة (ايجاز التعريف بعلم التصريف) وقد شرحه ابن اياز النحوي (— ٦٨١) [1] ، و (لامية الأفعال في التصريف) وقد شرحها ولده الإمام النحوي بدر الدين (— ٦٨٦) [2] ومن كتبه الممزوجة (الألفية النحوية) المشهورة ؛ وتمتاز كتب الإمام ابن مالك بحسن عرضه للقواعد واختصارها واختيار الجيد المستقيم منها .

وهناك علماء آخرون بحثوا في التصريف بحثاً ذا قيمة منهم :

الرضي الاستراباذي ، والفخر الجاربردي في شرحها للشافية ؛ وعلي بن مسعود صاحب المتن المشهور (بمراح الأرواح) [3] وهو من الكتب المشهورة التي أضحت لها شهرة كبيرة في العصر العثماني لاهتمام علماء الترك بها اهتماماً كبيراً .

ومنهم الإمامان الجليلان سعد الدين التفتازاني شارح (كتاب العزى) ، والجلال السيوطي صاحب (الأشباه والنظائر) و (جمع الجوامع) و (الاقتراح) و (المزهر) وفي هذه الكتب النحوية والصرفية كلها نقول مستفيضة عن كتب ابن جني .

ولو رحنا نستقصي نقول السيوطي عن ابن جني لعسر علينا ذلك فانه ربما نقل عشرين صحيفة دفعة واحدة [4] .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣/١ـ٣٤ .

(٢) بروكلمان .G. A. L ١ / ٣٠٠ والذيل ١/٥٢٦ .

(٣) بغية الوعاة : ١٥١ و كشف الظنون ٢/١٥١٤ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف١٩٣ .

(٤) نضرب لك مثالاً بكتابين من كتبه أحدهما المزهر وثانيها الأشباه والنظائر ففي الجزء ١ من المزهر انظر الصحائف من طبعة بولاق : ٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٩ .
وفي الجزء الثاني منه : ١٥ ، ٢٠ ، ٣١ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ .
وفي الأشباه والنظائر ج-١ طبعة الهند : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ الخ .
وفي الجزء الثاني : ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٧٣
وفي الجزء الثالث : ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٠ .
وفي الجزء الرابع : ١٠٩ ، ٢٨١ ... الخ ..

أما بعد فقد رأينا تأثير ابن جني في النحاة والصرفيين وإفادتهم من كتبه، ولا عجب فهو الذي تعمق في هذا العلم فوقف الناسُ بعده عند الحد الذي حدّه .

وهو أول من ابتدع بحث (الاشتقاق الأكبر) في علم الصرف ودلّل عليه وذكر طرفاً من الأمثلة عليه في كتاب الخصائص [1] . وقد ذكر السيوطي ذلك فقال : إنه «مما ابتدعه الامام أبو الفتح بن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة» [2] .

وقف الصرفيون عند ما كتبه ابن جني ووضحه الرضي الاستراباذي توضيحاً ذا قيمة ثم جاء بعد هذين قوم من الصرفيين بذلوا جهدهم في كتابة الأمثلة والتمرين على القواعد الصرفية ليس غير .

ومن الكتب التي ألفها المتأخرون في هذا الفن (كتاب المقصود) وقد نسبه بعضهم الى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان [3]، وقد قال العلامة طاش كبري في (مفتاح السعادة) : «ومما اشتهر بديارنا مختصر مسمى بالمقصود لم نقف على اسم مصنفه إلا أنه مبارك مشهور بأيدي الناس وعليه شروح مفيدة عند أبناء الزمان» . وقال الأرزنجاني في شرح أصول البزدوي إن الامام أبا حنيفة صنف ... (المقصود في الصرف) وقيل ليس له بل هو لبعض المعتزلة [4] . وقال الحاج خليفة : اختلف في مؤلفه فقيل الإمام الأعظم وقيل لغيره وجزمَ به محمد بن بير علي المعروف ببركلي (— ٩٨١) وعليه شروح كثيرة وله تراجم الى التركية والفارسية ذكرها الحاج خليفة [5] .

---

(١) انظر ج ١/٤ ، ١٢ ، ٥٢٥ الطبعة الأولى والمزهر ١/ ١١١ .
(٢) المزهر ١/ ١٦٤ .
(٣) انظر مفتاح السعادة ١/ ١١٩ و كشف الظنون ٢/ ٥٠٨ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٣ .
(٤) مفتاح السعادة ١/ ١١٩ .
(٥) كشف الظنون ٢ : ٥٠٨ .

ومن كتب المتأخرين (كتاب البنـاء) المنسوب لعبد الله الدنقزي [١]، و (كتاب الهارونية) لنجم الدين عمر بن الهروي [٢]، وكتاب (الأمثلة) الذي لا يعرف مؤلفه، و (بداية المبتدي) للشيخ يحيى بن رجب بن علي وقد ألفها سنة ١٠٥٠ [٣]، وكتاب (تصريف الافعال) الذي لا يعرف مؤلفه [٤]، وكتاب (كفاية المبتدي) لمحمد بن بير علي البركوي (البركلي) [٥] وكتاب (العلم الخفاق في علم الاشتقاق) لمحمد صديق حسن خان [٦]، و (شذا العرف) لأحمد الحملاوي [٧]، و (عنوان الظرف) لمرون بن عبد الرزاق [٨] وغيرهم من المتأخرين.

وكتب المتأخرين هذه تنتظم بحوثاً موجزة في التصريف مأخوذة عن ابن جني مثل التصريف الملوكي، أو عن كتب ابن مالك وابن هشام وليس فيها شيء من الابتكار أو تطوير هذا العلم وتهذيبه، كما نبين ذلك فيما بعد:

ملاحظاتنا على كتب التصريف: تفنن الصرفيون القدماء في هذا العلم وجاءوا فيه بأبحاث طريفة ونكات علمية مفيده تدل على ذوق سليم وملكة رفيعة ضبطت أحكام اللغة ونظمت معاجمها وأنقذتها من الفوضى التي كانت قبل أن ينتظم أمر هذا العلم. ولكن شيئاً واحداً كان ينقص هؤلاء التصريفيين ليجيء ما كتبوه كاملاً أو قريباً من الكمال وذلك بمقارنتهم اللغة العربية مع اللغات

(١) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١.
(٢) انظر الكشف ٢/٦٤٥.
(٣) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١.
(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥٢.
(٥) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٦٦.
(٦) نشرته مطبعة الجوائب ١٢٩٦.
(٧) نشرته مطبعة بولاق ١٣١٢.
(٨) نشرته مطبعة بولاق ١٨٨٩.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السامية الأخرى فلو أنهم فعلوا ذلك ـ وقد كان في وسعهم أن يفعلوه ولكن عنجهيتهم أبت عليهم أن يتعلموا لغات ميتة أو كاللميتة لا قيمة لها في نظرهم ـ أقول : لو أنهم فعلوا ذلك لأتت بحوثهم كاملة . وقد لاحظ هذا الأمر صديقنا وأستاذنا الأستاذ خير الدين الأسدي فقال : « لا مراء في أن نحاتنا يرزوا على أمم الأرض طرًّا في التنقير والتثبت والاستقراء واستيفاء البحوث وحمل الأحكام على الإحكام ، ولئن كانت مهمة شامپليون وماريت باشا وماسبيرو وأمثالهم في حل طلّسم الهيروغليفية عسيرة وعسيرة جداً الأمر الذي جعل كلاً منهم دولة من الذكاء وجبروت هذا الذكاء ، فان مهمة الخليل وسيبويه والكسائي وأمثالهم لا تقل في خطورتها عن مهمة أولئك بل هي أشد خطورة إذا تمثلت معي اضطلاعهم بأعباء لغة ترامت آفاقها وبعد غوْرها وتشعبت مسالكها والتاث معالمها ومنيت بأفانين من ضروب الفوضى والاضطراب والامعان في هذه الفوضى وهذا الاضطراب ، بيد أن خطأ نحاتنا كان عظيماً في تنكبهم عن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى فلقد كانوا يتصورون أن اللغة العربية هبطت من حالق مقدرة بمقادير خاصة بها لا تشرك غيرها في شيء كما لا يشركها غيرها في شيء ... » (١) .

ولقد سمعنا من أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى شيئاً يشبه ذلك في محاضرة له ألقاها عن تاريخ النحو العربي فقال : لو أن ابن جني ، على جلالة قدره ، كان يعرف اللغات السامية ويقارن بينها وبين العربية لما وقع فيما وقع فيه من تخاريج غريبة كقوله في اشتقاق (توراة) إنها فوعلة من وري الزند وأن أصلها ووربة وأن الواو الأولى أبدلت تاء وأنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة مثل توْلج لأنها من الولوج ... » .

هذا ضرب من ضروب الخطأ التي وقع فيها ابن جني . وهناك أمر ثان نعاب عليه كتب ابن جني وسائر الصرفيين من متقدمين ومتأخرين ، وهو فساد التبويب وسوء

(١) رسالة « لبس » للأسدي ص ١ .

التركيب والذي نراه أن تكون كتب الصرف مؤلفة من فصول ستة على النمط الآتي:

الفصل الأول : في المصطلحات الصرفية وما ينبغي أن يطلع عليه الطالب قبل الولوج في البحث .

الفصل الثاني في أبنية الأفعال وما يعتورها من أحكام الإعلال والإبدال والقلب .

الفصل الثالث : في الأسماء وأبنيتها وما يعتورها من أحكام .

الفصل الرابع : في التغييرات التي تطرأ على الكلمات أثناء إعلالها وإبدالها .

الفصل الخامس : في المقارنات بين اللغة العربية واللغات السامية .

الفصل السادس : في التمرينات .

وإننا لنؤمل خيراً كثيراً من الحركة التي ظهرت مؤخراً في الجامعات السورية والمصرية والعراقية (١) والتي تسعى لإحياء النحو والصرف العربيين إحياء صحيحاً يعتمد على مقارنة اللغة العربية باللغات السامية . هذه النهضة التي كان يضطلع بأعبائها زعيمان من زعماء علماء اللغة العربية ، أولهما عراقي وهو العلامة المغفور له الدكتور عز الدين آل ياسين أستاذ النحو واللغات السامية في كلية الآداب العراقية ، الذي توفاه الله قبل سنة فلم يتمكن من أداء رسالته ، وثانيهما مصري وهو الأستاذ الجليل ابرهيم مصطفى صاحب « إحياء النحو » وعضو المجمع اللغوي المصري وإن كتابه هذا خطوة مباركة ورشيدة للسير بالعربية وبحوثها سيراً جديداً ، وإننا نرجو أن يصدر الأستاذ ابرهيم مصطفى في القريب كتابه الثاني الخاص بإعراب الفعل ثم يعقب على كتابيه هذين بكتاب ثالث يبحث فيه عن التصريف وينقذنا من فوضى المتأخرين الذين عقدوا هذا العلم وأفسدوه .

---

(١) عمدت الجامعتان المصريتان في القاهرة والاسكندرية والجامعة السورية في دمشق والجامعة العراقية في بغداد الى اسناد تدريس مواد اللغة العربية من نحو وصرف وفقه لغة الى أساتذة يعرفون اللغات السامية ليكون قدمهم أرسخ في التنقيب عن أسرار هذه اللغة العربية المجيدة .

ولا ينبغي لنا هنا أن نهمل جهوداً عظيمة يبذلها أستاذ فاضل من أساتذة العلم في حلب ألا وهو العالم الأستاذ خير الدين الأسدي صاحب (كتاب ليس) و (كتاب الهمزة) وغيرهما من الكتب الجليلة التي سلك فيها مسلك المدققين من العلماء المستشرقين الباحثين في أصول اللغات السامية ومفرداتها وأننا نرجو أن يوفق - أعانه الله - في نشر مؤلفاته القيمة التي تكشف عن العبقرية الشامية وجهودها العظيمة في خدمة العربية وعلومها وبخاصة على التصريف وفقه اللغة .

وبعد : فإن فضل ابن جني على تكوين علم الصرف بل على إيجاد علم فقه اللغة العربية فضل عظيم ، ولئن كان الناس يشهدون دوماً لسيبويه بالمكانة السامية والسبق في هذا الميدان ، فان ابن جني بدقته وبراعته ، ووضوحه وكشفه عن أسرار اللغة ، هو فارس هذا الميدان الأول . ثم إن القارئ اليوم لا يكاد يقرأ صحيفة أو اثنتين من (كتاب سيبويه) حتى يمل ويضجر بأسلوبه المعقد ، بينما يلتهم كتب ابن جني التهاماً .

وقل مثل ذلك في المقارنة بين عالمنا ابن جني ، وبين الخليل بن احمد الفراهيدي فيما أثر عنه فان أسلوبه معقد ، لا يكاد يفهمه المرء إلا إذا كد ذهنه ، وتعمق في تفكيره ، ولا كذلك كتب ابن جني . وليس في هذا مطعن على سيبويه أو الخليل ، رضوان الله عليهما ورحماته ، وإنما هو إحقاق للحق ، فان عمل ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي رحمهما الله كان عملاً جليلاً ، ولا غرو فان القرن الرابع بثقافاته الواسعة ودراساته اللغوية المتعددة قد مكن الرجلين من أن يأتيا بهذا الذي نراه .

ولم يكن ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي يقتصران على مذهب أهل البصرة ، أو أهل الكوفة ، أو أهل بغداد ، كما أسلفنا ، وإنما كانا يجمعان كل ذلك ويتنخلانه ويضيفان اليه ما تهديه اليهما قريحتهما الصافية ، ويدفع اليه نظرهما الثاقب .

(يتبع) الدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

كتاب التربيع والتدوير للجاحظ

عُني بنشره وتحقيقه : شارل بلات
أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس

بواظب المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق على نشر طائفة من كتبنا القديمة ، وآخر كتاب أخرجه لنا كتاب التربيع والتدوير للجاحظ .

وضع محقق هذا الكتاب مقدمة باللغة الفرنسية وذكر المصادر التي رجع اليها ويسيراً من تراجم الأعلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب ونقل مفردات الكتاب الى اللغة الفرنسية .

أول مستشرق عُني بدراسة كتاب التربيع والتدوير إنما هو المستشرق الهولندي « فلوتن » ، ثم ظهرت نسخ مخطوطة مختلفة ظفر بها الأستاذ « بلات » ، ويُستنتج من المقدمة أن كتاب التربيع والتدوير لا يخلو من بعض زيادات ليست للجاحظ . اقتصر الناشر على الإشارة اليها دون حذفها .

عرّف « بلات » كتاب التربيع والتدوير فهو عبارة عن مسائل عويصة طرحها الجاحظ على أحمد بن عبد الوهاب ثم أجاب عنها الجاحظ نفسه بسخريته المعروفة ، والأستاذ « بلات » يشبّه الجاحظ في تصويره لأحمد بن عبد الوهاب بالكاتب الفرنسي المشهور : « لابرويير » .

وقد انتقل بعد هذا التعريف الى ذكر تأريخ تأليف الكتاب والى الكلام على أحمد بن عبد الوهاب والى الأسباب التي من أجلها ألّف الجاحظ كتاب

التربيع والتدوير والى تلخيص مكانة هذا الكتاب فالأستاذ « پلات » يرى أن صلة الكتاب بتأريخ الفكر العربي أشدّ من صلته بتأريخ الأدب .

نقلت مفردات كتاب التربيع والتدوير الى اللغة الفرنسية ، ولقد مررت على هذه الترجمة عَرَضاً فوقعت عيني على ترجمة : مبغضة ، جاءت هذه اللفظة في المتن على هذا الشكل : والمزح جِمام والجدّ مبغضة والمزح محبّة ، فقال الأستاذ الناشر في ترجمة مبغضة : mépris وقال : هي ضد محبّة ، لست من أهل اللغة الفرنسية حتى أجادل رجلاً من رجالها ولكن الذي أعرفه أن كلمة mépris تدل على الاحتقار والازدراء والاستخفاف أكثر من دلالتها على البغض .

على أن هذه الخطرة خطرت على البال عرضاً على نحو ما قلت ، فالمهم أن أبادر الى إشارات تتصل بالجاحظ لا بأس باثباتها في هذا المقام ، فقد ذكر الأستاذ « پلات » أن الجاحظ وقف أمام معتقدات كثيرة لا يقول بها القرآن موقف الشك لأن هذه المعتقدات يعارضها العقل وهذا الشك الذي أدخله الجاحظ على أدب العرب لو أدخل على أمة أقل تمسكاً بتقاليدها لأمكن أن يكون عاملاً من أعظم عوامل تفتيح العقول وتخميرها .

والحقيقة التي استنبطتها من دراستي لكتب الجاحظ أنه لم يدخل الشك على الأدب وحده وإنما أدخله على أمور الفكر والعقل ، فالجاحظ لجأ في الاهتداء الى الحقيقة الى الحواس ثم تبيّن له أن الحواس تخطئ فعمد الى الشك ، ولكن شكه كان سبيلاً الى اليقين ومثله في ذلك مثل « باكون » و « ديكارت » ، فطريقة « باكون » كانت مبنية على الحواس وطريقة « ديكارت » كانت مبنية على العقل ، ولم يكتف الجاحظ بطريقة العقل وحدها فقد جرّب بنفسه على نحو ما يفعله علماء الحيوان والنبات وتجاربه مستفيضة في كتاب الحيوان .

لقد جاء الوقت الذي يجب علينا فيه أن ندخل الجاحظ في جملة العلماء كما أدخلناه في جملة الأدباء ، فبعض المستشرقين لا يزالون يرون في الجاحظ اماماً من أئمة الأدب وهم يكادون لا يعترفون له بأثر في العلم .

لقد أنصفه الأستاذ « پلات » كل الانصاف لمّا قال إن هذا الرجل لم يعرفه الناس حق المعرفة فانه يمثِّل الفكر البشري في فترة من الفترات على الرغم من اتهامه من بعض الوجوه باقتباسه عن اليونان وبقلة ابتكاراته .

ماذا يريدون بقلة ابتكارات الجاحظ ؟ أفلا يكفي صاحب هذا العقل العظيم أن يجرِّب ماجرَّب وأن يهتدي في نتائج تجاربه الى أمور كثيرة تتصل بالحيوان أو بالنبات أو بالانسان دون أن يجمد على ما اقتبسه عن اليونان أو عن غيرهم من الأمم . إلاّ ان العصر الذي عاش فيه الجاحظ يختلف عن العصر الذي نعيش فيه فلا يمكننا أن نطالبه بابتكارات تشبه ابتكارات علماء هذه الأيام وحسبه أنه سبق « باكون » و « ديكارت » الى طريقتيهما ولكنه لم يتوسع في هاتين الطريقتين توسُّع هذين الفيلسوفين الكبيرين ، إلا أن فضله بالنسبة إلى عصره ليس بقليل .

وإنّا لنشكر الأستاذ « پلات » الشكر كله من أجل اعترافه بأن الجاحظ يمثل الفكر البشري في زمن من الأزمان فقد أعطاه حقّه وجعله في المنزلة التي يجب أن يكون فيها وهي منزلة رجال الفكر البشري ، لا الفكر العربي وحده .

شفيق جبري

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف السيد الأجل الشريف الرضي

اهتم بنشره عن النسخة الخطية الوحيدة في مكتبته السيد محمد المشكاة

قدَّم لهذا الكتاب الأستاذ حسين علي محفوظ مدرس العربية بالعراق ، مقدمةً جاء فيها : التعريف بالمخطوط ـ صحة انتسابه الى الشريف الرضي ـ تلخيص البيان ـ قيمته الأدبية ـ سيرة مصححه السيد محمد المشكاة وآثاره .

وفي المقدمة الثانية للأستاذ الناشر (المشكاة) أنه ظفر بكتاب عتيق كتب في القرن الخامس للهجرة ، يبحث عن آيات القرآن الكريم بعنوان (الاستعارة) ووصفه بقوله : « وجدته تفسيراً يشتمل على التعليل في اختلاف القراءات ، وكتاب أدب ، يبحث عن وجوه التشبيهات والاستعارات ، (الى أن قال) : وقد صدّر البحث عن كل آية بلفظ (استعارة) وليس يراد معناه المصطلح المقابل للكناية والتشبيه ، وإلا لم يصدق على كثير من مباحث الكتاب ، فالمراد بالمجاز هنا المعنى الأعم من المجاز العقلي واللغوي والتشبيه ، والمراد بالاستعارة المعنى الأعم من أقسام الاستعارة والكناية والمجاز العقلي والتشبيه بأقسامها ، كيف لا وقد استعملت هذه الكلمات في معانيها الاصطلاحية بعد ما وضع علم المعاني والبيان ، وألفت المطوّلات في الأصول الفقهية . وكتابنا هذا ـ وهو أول كتاب صنف في بابه ـ أعني مجازات القرآن الكريم ، متقدم على ذلك بعشرات من السنين » قلت : ويؤيد هذا ما ذكره ابن القيم في بعض كتبه من أن المجاز لم يُردْ به في عرف السلف ما يقابل الحقيقة ، بل المراد به ما يجوز لغةً ومعنى في تفسير الآية ، وهذا ملخّص ما قال :

« وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها الى حقيقة ومجاز ، ولا قال أحد من العرب قطّ هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ، ولا وجد في كلامهم

من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك ؛ ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأصمعي وأمثالهم ، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابع التابعين ، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة » .

قال السيد المشكاة : واعلم أن التي بين يديك إنما هي نسخة عتيقة مهذبة قريبة العهد من مصنفها بحيث تكاد تدرك زمانه ، ولذلك سلمت من تصرفات الناسخين . ثم علل طبع هذه المخطوطة بقوله وانما أردنا بذلك تكثير هذه النسخة المخطوطة اليتيمة خوفاً من تلفها وتتميماً لنفعها ، ورغبة في خدمة العلم وأهله .

وقد بلغت هذه المخطوطة (٢٤٠) صفحة بالقطع المتوسط ، وذكر في أعلى الصفحات أسماء السور المفسرة ، وعلى جوانبها أرقام الآيات ، وخطها واضح وكلها منقوطة ، وفي آخرها عدة فهارس : فهرس السور والآيات ، وآخر لأعلام الأشخاص والأماكن والفرق والكتب ، وثالث للأمثال والتراكيب المذكورة في الكتاب ، ورابع للألفاظ التي شرحها الشريف مرتبة . وختمها بعرض تحليلي للمطالب التي يبحث عنها في الكتاب . وبفهرس أبيات الشعر التي استشهد بها في الكتاب مرتبة على ترتيب قوافيها ، ثم فهرس الأخبار والأحاديث الواردة في الكتاب على قلتها .

ولا نرى البحث في هنات جاءت في مقدمة الناشر السيد المشكاة كقوله : بذلنا الجهد على طبعها ، وكجعل الشعر نثراً في قوله :

ففي كل لفظ منه روض من المنى وفي كل سطر منه عقد من الدر

وكقوله : وقد عقب اسم أبيه أبي أحمد أيضاً (أي أبي المؤلف) بقوله : «رضي الله عنه» (قال) : وهذا أيضاً دعاء (على الميت) أي دعاء للميت ، وحسبنا هذا وكفى .

محمد بهجة البيطار

René Dussaud - La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam - Paris 1955

توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام

تأليف الأستاذ رينه دوسو يقع في (٢٣٤) صفحة من القطع الكبير تتخللها صور عديدة ، طبع في باريز عام ١٩٥٥

إن أستاذي المؤلف عضو المجمع العلمي الافرنسي وزميلنا في مجمعنا العلمي العربي هو أشهر من أن يعرّف ، عرفته بلادنا منذ أكثر من نصف قرن بحاثة جوالاً في معمورها وبواديها ، كرس شطراً كبيراً من حياته العلمية في دراسة وتدريس آثار بلاد الشام وتاريخها ، وتملأ تآليفه وأبحاثه في هذا الموضوع مجلدات عديدة . وهو اليوم عميد الدراسات الأثرية لشرقنا وشيخ الآثاريين عنها . حصر جل همه في كل ما له علاقة في تاريخنا القديم . فهو أول من تتبع موضوع ظهور العرب في بلاد الشام قبل الفتح الاسلامي . وكان بحثه الذي نشره في عام ١٩٠٧ فتحاً جديداً في بابه عالج الموضوع بروح علمية عميقة جعلت مؤلفه الى يومنا هذا مرجعاً من أهم المصادر للباحثين . ولم يكن كتابه في نظره إذ ذاك إلا تمهيداً لبحث أوسع . وهاهو يطلع علينا بعد نصف قرن من بحث وتنقيب بكتابه القيم داعماً آراءه بالاكتشافات والوثائق الحديثة التي ظهرت خلال النصف الأول من هذا القرن ، التي ألقت أضواء جديدة على كثير من غوامض التاريخ .

ويرى المؤلف أن العراق وسورية ولبنان وفلسطين والشرق العربي هي امتداد حيوي لجزيرة العرب وسكانها ، وقد يبدو هذا الرأي للبعض مبالغاً فيه لما بين جزيرة العرب وهذه البلاد من بعد شاسع وعقبات تفصل بينها وتحول دون سهولة

الاتصال . ولكن من عرف طبيعة العرب الرحل واستهانتهم بالمسافات الطويلة والصعوبات والمشقات في سبيل طلب الكلأ والماء والكسب الحلال والحرام يسلم برأي المؤلف ويقنع بحججه .

كان العرب في كل رحلة نحو الشمال يتخلف منهم عن العودة الى بلادهم بعض أفرادهم كما هو حالهم اليوم ، فشكلوا مع الزمن نواة جالية عربية كان لها شأنها ولعبت في التاريخ دورها ، وقد احتفظ هؤلاء المتخلفون بعقائدهم وتقاليدهم ولغتهم ، وقد اقتبس عنهم أهل البلاد البعض منها ، ونجد أثر ذلك ظاهراً عند الأنباط وفي حوران والصفا وتدمر وحمص وغيرها من بقاع الشام ، وقد احتفظوا أيضاً بقوميتهم رغم اندماجهم بأهل البلاد التي استوطنوها ، وكان لهم مواقف شريفة في الدفاع عن هذه البلاد ، وكانوا أشد العناصر غيرة على سلامة موطنهم الجديد ، فقد وقفوا في وجه غزوة الاسكندر وصمدوا لها في جبال لبنان وقطاع فلسطين ودافعوا لكن بدافع عن وطنه وعياله .

وقد القم هذا الكتاب حجراً من يقول ان العربية دخيلة على الشام والعراق فرضتها قوة الاحتلال الاسلامي ، مع أن الغزوة الاسلامية هي برأيي نتيجة محتمة لانتشار العرب في البلدان قبل الفتح الاسلامي بقرون عديدة ، فقد مهدوا السبيل لغزوة التحرير لشرذمة قليلة من الفاتحين وساعدوا على هزيمة هرقل وكسرى .

ويجدر بمعاهدنا العلمية العالية ومن يهمهم تاريخ بلادنا العناية بهذا الكتاب ونقله الى العربية خدمة لتاريخنا وقوميتنا .

فالى أستاذي الكبير منا أبلغ الشكر وأطيب الثناء مد الله بحياته ذخراً للعلم .

جعفر الحسني

كتاب الورقة

لأبي عبد الله محمد بن داود الجراح

تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ذخائر العرب – مصر ١٩٥٣ ، ١٥٩ صفحة

حرص العرب في جاهليتهم على رواية الشعر وحفظه ، واتخذ خلفاء بني أمية خطة عظيمة في تأديب أولادهم بالشعر وروايته ، وعمل علماء اللغة في العصر العباسي على جمع الشعر وتدوينه وطلبه خدمة للغة والنحو وما يتصل بهما . فكانت المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب ، وحماسة أبي تمام والبحتري وابن الشجري ، وكانت كتب الأدب كديوان المعاني والبيان والتبيين والكامل ، والعقد والامالي .

وشرع العلماء بعد هذا في تأليف كتب عن الشعراء والشعر ، كابن قتيبة وابن سلام وابن المعتز ، جمعوا فيها سيرة الشاعر وترجمته وطرفاً من أخباره وأشعاره . وتبعهم في خطتهم مؤلفو العصور العباسية حتى عصر الانحطاط .

وهذه الكتب في تراجم الشعراء نفيسة ثمينة تغني البحث وتضيف إلى معرفتنا بأدبائنا القدماء ثروة عظيمة . وقد فقدت أكثر هذه الكتب وضاعت ، وبقي منها عدد قليل عُني الناشرون بإظهاره ، وكتاب الورقة في صدر هذه الآثار .

ألفه صاحبه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وجعل لكل شاعر ورقة يترجم فيها سيرته وأخباره ويذكر عليها طرفاً من أشعاره . وهذه الورقة تختلف طولاً وقصراً ، إسهاباً واقتضاباً ، فقد جاءت بعض التراجم في صفحات وجاء بعضها في سطور كما في هذه الطبعة .

وهذه التراجم تضيء جوانب كثيرة من حياة أدبائنا ، وتترجم لكثيرين ممن ضاع أثرهم في المطبوع من كتبنا ، ويبلغ عددها في الكتاب ثلاثاً وستين

ترجمة ، فيها شعراء مغمورون وآخرون قالوا الشعر ولم يعدوا في الشعراء ، وفيها من الأعلام المشهورين .

ويبدو أن ابن الجراح كان عارفاً بأيام العرب وأخبارهم ودول الملوك ، واقفاً على التاريخ ، ذواقة في الأدب ، لما يورد من أبيات مختارة وأشعار سائرة جميلة ؛ ولذلك كان كتابه « الورقة » ثميناً جداً في مصادرنا القديمة ، وكان نشره حدثاً في كتب التراجم يشكر له المحققان الفاضلان أيما شكر .

وقد كتب الدكتور عبد الوهاب عزام مقدمة قصيرة في حياة ابن الجراح ، كشف فيها عن وزارته لابن المعتز ، وهربه واختفائه حين قتل هذا الخليفة ، ثم ظهوره بعد ذلك ، وحبسه وموته سنة ٢٩٦ هـ ، ورسم الفاجعة في مقتله . وحياته كانت سلسلة من المآسي ، ألمع إليها المحقق إلماعاً يسيراً ، ولم يسهب في البحث عن الكتاب ، وإنما رسم مخطوطته القديمة وعرّف بقدرها وفضلها وذكر الأيدي التي تعاورت على ملكيتها ، ثم بين أنها فقدت كثيراً من التراجم مما وقع في كتب الأدب منسوباً الى كتاب الورقة ، ولم يرد في هذه الطبعة .

وهنا نود أن نرسل عتباً رقيقاً في صدد هذه المقدمة ، فهي عجلى كما يعترف الأستاذ المحقق ، وكم كنا نتمنى أن يطيل النظر في الكتاب وأن يذكر لنا أين تقع تراجمه من الدقة والاحاطة والشمول بين كتب التراجم ، وهي مبسوطة بين يديه يستطيع أن يوازن بينها وبينه ليطلق حكمه فيها ، ويدلي برأيه في قيمة الكتاب . بل كنا نرجو أن يذكر لنا أين تشترك هذه التراجم وأين تنفرد ، ولكن الرجل يعلن في تواضع جم أنه أسلم تحقيق الكتاب للأستاذ فراج ، وأنه ترك له التعليق والإشارة والشرح .

ولا بد من التنويه بفضل الرجلين في نشر الكتاب لما قاما به من خدمة الناطقين بالضاد ، على ما في عملها من قصور ، في ضبط كثير من الأعلام ،

والإشارة الى مواقع الصفحات من المصادر التي ترد فيها هذه التراجم، فطابع السرعة لا يخليها من مسئوليتها في الرجوع الى كتب البلدان والأنساب لرسم الأعلام مثل : (زرزر الرفاء ، الصمري ، الخاركي ، المستهل) كما كان يفعل المحدثون في القديم والمحققون في العصر الحديث ٠

وأخيراً ، لا يقنعنا قول الدكتور عزام في مقدمته : « ان في الكتاب جملاً قليلة لم يزايلها الغموض والشك ، وعسى أن يجلوها البحث » ، فهناك شيء غير قليل يحتاج إلى إطالة النظر والبحث والتعليق والتصحيح ، لجلاء هذا الكتاب الثمين والعودة إليه ، وليس ذلك على همة المحققين بعزيز ٠

الدكتور سامي الدهان

كتاب الريف السوري

للأستاذ أحمد وصفي زكريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كم وددت لو استطعت أن أحشر في هذه العجالة كل ما دونته أمامي مما جال في نفسي من آراء وفكر ، وأنا أقرأ كتاب الريف السوري الذي أصدره أخيراً الأستاذ الفاضل أحمد وصفي زكريا ، واني ما كنت لأوفق لما أردت لأن ذلك يحتاج لمجال قد تضيق به ذرعاً الصفحات التي اعتادت مجلة المجمع أن ترصدها لنقد الكتب الجديدة وتقريظها ٠ ولعل من أهم ما يوحيه هذا الكتاب لقارئه الناقد ويرسم في نفسه من صور بارزة هو هذه المرحلة من التطور الاجتماعي التي بدأت ترتسم في أفق الشرق العربي فتظهر هذا الانصراف الواضح عن عالم الخيال الى حياة الواقع التي أخذ يحياها أبناء الأمة العربية في مختلف أقطارهم وأمصارهم والعزوف عن الوهم والتخيل الى هذه الحقيقة الراهنة التي تستمد أصلها من تعريف المواطنين بأوطانهم التي يعيشون فيها وبلدانهم التي يستمدون معاشهم وقوتهم منها

والذين هم أجدر الناس بمرفتها والاطلاع على خصائصها ، لأنه ليس لأحد من الناس أن يدعي المعرفة والعلم إذا كان يجهل الوطن الذي يعيش فيه ، ولعل من أهم أخطاء الأدباء والكتاب والعلماء المعاصرين في الشرق العربي هو انصرافهم حتى الآن عن تأليف مثل هذه الكتب التي تعالج الواقع وتدرس الأرض ، أرض الوطن وما عليها والمدن وما فيها والأرياف وما احتوته من خيرات مما هو أول ما يجب أن يعرفه كل مواطن يزعم انه على شيء من الثقافة والعلم ، وليس في الناس أسخف من أولئك المواطنين الذين يحدثونك عن خصائص التربة وعوامل الاقليم في بقعة قاصية من بقاع الدنيا ويجهلون كل خاصة من خصائص الأرض التي أنبتتهم أو البلد الذي يعيشون فيه كما عاش آباؤهم وأجدادهم من قبل . وإني لا أبالغ اذا قلت ان الأستاذ زكريا قد وفق التوفيق كله في هذا الفتح الجديد وفي تأليفه كتابه هذا الذي نحن أحوج ما نكون اليه وإخراجه للناس على هذا الشكل الواضح وبهذا الأسلوب البارع في الوصف والتعريف وإني لمقدر كل التقدير الجهد العظيم الذي بذله المؤلف كما يقدر ذلك كل قارئ منصف وهو يعلم ما هي عليه المكتبة الشامية ، إذا صح هذا التعريف ، من فقر مدقع ، إذ ليس بين مؤلفيها من سبق الأستاذ زكريا لوضع أمثال هذه الكتب إلا نفر من الأقدمين قد لا يصح الاعتماد إلا على القليل مما دونوه بشكل خاطف وعلى غرار ما يكتبه الرواد والسائحون . ولعل ندرة الكتب الجديدة التي يمكن الرجوع اليها والاستعانة بها هو الذي ألجأ المؤلف لأن يجمع في بعض الفصول من كتابه بين الماضي والحاضر ويمزج في وصف وتعريف كثير من المواقع بين ما كانت عليه الأوضاع وبين ما صارت اليه ، ولقد وددت لو اقتصر المؤلف في بعض الفصول على وصف الحالة الراهنة دون أن يرجع الى ما وصفه الأقدمون مما دعى لبعض الغموض أو التشويش ، سيما وهو يعتمد في أكثر

ما يصفه ويدونه على خبرته الخاصة بعد أن جاس خلال الديار في أكثر المناطق واختبر شؤونها بنفسه ودرس الأشياء في مواقعها ، على أنه مع هذا قد وفق الى حد بعيد في كثير من الفصول وعلى الأخص في كثير من المناطق الأثرية حينما أتى على لمحة من تاريخها القديم وما فيها من معالم وآثار يرجع عهدها الى أزمان غابرة بعيدة . هذا وامل أهم ما دونته أمامي أيضاً وأنا أطالع هذا السفر القيم عن الريف السوري الذي اقتصر فيه مؤلفه على محافظة دمشق ، هو ما تمنيته من صميم فؤادي لو أن الدولة وما فيها من مصالح أخذت بيد الأستاذ المؤلف وساعدته مساعدة فعالة في عمله لإصدار الأجزاء التالية من مؤلفه عن الريف السوري في بقية المحافظات ، لأني أعتقد جازماً أنها لو فعلت ذلك لسدت نقصاً عظيماً صارخاً فيما نحتاج اليه من مؤلفات ، وحققت بذلك أمراً لا تستغني عنه البلاد السورية في نهضتها الجديدة .

الدكتور كاظم الداغستاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب

(١) تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي
(٢) تحذير العباد من أهل العناد

تأليف العلامة برهان الدين البقاعي ٨٠٩ — ٨٨٥

تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل

كان التصوف في أول نشأته بين المسلمين زهداً في الدنيا وعرضها الأدنى ، وإيثاراً للآخرة عليها ، وجهاداً في سبيل الله ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس . وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان . ولم يكن اسم (التصوف) معروفاً لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسماه نسكاً وزهداً ، وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ،

صار آراء فلسفية تَنَقَّل فيها أهلها إلى القول بالحلول والاتحاد (بل بالوحدة المطلقة) ثم انقلب إلى شعوذة وشعبذة ، وتغرير بالبسطاء ، وتزلف للحكام ، وأكل لأموال الناس بالباطل .

هذا بعض ما وصفت به من قبلُ التصوف في جملته . وأما هذان الكتابان المطبوعان معاً - وكلاهما للمفسِّر البقاعي الدمشقي - ففي أولهما نصوص كثيرة من فصوص الحكم لابن عربي (الشيخ الأكبر) وفي ثانيهما أبيات منوعة من تائية ابن الفارض (سلطان العاشقين) المسماة بنظم السلوك ، وهي تقرب من ثمانمائة بيت ، وفي هذا وذاك الكفر الصريح الذي لا يحتمل الجدل ولا التأويل ، وبنى البقاعي حكمه هذا على النقول الكثيرة من نثر الأول ونظم الثاني ؛ وأما التأصيل والتفصيل ، أو التحليل والتعليل . ففي تعليقات المحقق الأستاذ (الوكيل) ، فقد ردّ فيها الفرع إلى الأصل ، والجزء إلى الكل ، وجاء ما كتبه بمقدار الأصل أو يزيد ، والكتاب الأول يقع في مائتي صفحة بتحقيقاته ، والثاني في نحو سبعين .

وصف الأستاذ الوكيل في مقدمته للأول ما وعاه في حداثة سنه من ترانيم شيوخ قريته التي كانت تهرف بما لا تعرف من صلوات ابن مشيش ومنها : اللهم انشلني من أوحال التوحيد ، ومن منظومة الدردير (وجد لي بجمع الجمع منك تنفلا) ثم كان يسمع ذكر الله في طنطا « بخنّات الأنوف ، ورجّات الأرداف ، ووثنية الدفوف » ومنشد القوم ينشد راقصاً (ولي صنم في الدير أعبد ذاته) ويسمعه يصيح : (وما الكلب والخنزير إلا إلهم !! . . .) فإذا سأل عن معنى هذه الجهالات والضلالات قيل له : « انت لسّه صُغَيِّر » ثم صار يدرس في كلية أصول الدين ، وفي شعبة التوحيد والفلسفة ، فلا يزداد إلا حيرة وشكاً ، إلى أن هداه الله تعالى فقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأوى إلى جماعة

أنصار السنة المحمدية ، فسار على هدى من ربه ، ومضى في طريق الحق غير هيّاب ولا وَكِل .

وقد عني الأستاذ الوكيل بهذا الكتاب ، فترجم لمعظم من ذكروا فيه ، ولكل فرقة أو نحلة ورد ذكرها ، وخرّج أحاديثه ، وجلّى غوامضه بتفسير مصطلحات القوم من كتبهم ، ونقضها بما خالفت فيه العقل والنقل (كتاباً وسنة) ، ووضع عناوين لمباحث الكتابين لإيضاح المراد منها ، ورقّم ما ورد فيهما من الآيات الكريمة وسورها ، وذكر النسخة التي طبع عنها ، وما لقي من عناء في معارضتها بأصولها .

من أمعن النظر في كلا الكتابين : (فصوص الحكم وتائية نظم السلوك) لا يرى الفرق بينهما إلا بكونه نثراً وكونها نظماً ، واليك كلمتين منهما ، تدلان على سائرهما .

« فإذا شاهد الرجل الحق في امرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل . لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل ومنفعل » وقد قال في النصّ النوحي في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام « وقد أضلوا كثيراً » أي حيروهم في تعداد الآلهة « ولا تزد الظالمين » المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة ، « إلا ضلالا » إلا حيرة . فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب » (١) فهو يفسر الظالمين عبدة الأوثان بالمصطفين الذين أورثوا الكتاب ، « ومكروا مكراً كبّارا » لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو الخ ... قال القاشاني « معناه أن الدعوة إلى الله دعوة منه

(١) ص ٢١٨

إليه ، لأن الله عين الداعي والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شيء »[1] فقالوا في مكرهم : « لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولا تذرن وَدّاً ولا سُواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسرا » فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله »[2] .

وهذه أبيات من تائية ابن الفارض ، وهي تضرب على نفس الوتر ، وكأنها نظم لما نثر من فصوص الحكم :

وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت ... كما جاء في الأخبار من ألفِ حجة[3]
فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم ... سواي وإن لم يعقدوا عقد نيةِ
رأوا ضوء نوري مرة فتوهمو (م) ه ناراً ، فضلوا في الهدى بالأشعة
وإن خرَّ للأحجار في البُدّ عاكفٌ ... فلا وجه للإنكار بالعصبية[4]

ومن ذلك قول ابن الفارض أيضاً :

إليَّ رسولاً كنتُ مني مرسلاً ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلَّت

قال القاشاني في شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتدا تكون مرسِلاً ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسَلاً إليها (اه ص ٧٣) .

هذه شواهد قصيرة من فصوص الحكم ومن تائية نظم السلوك ، قلت : ويجمع بينها ما نسب إلى الحلاج في معناهما وهو قوله :

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فكل ما هو كفر وشرك وإفك فهو في حقيقته عندهم إيمان صحيح ، وتوحيد خالص ، وكل إنكار على أعداء الرسل (عليهم السلام) من عبادة الأوثان ، فهو في حقيقته عندهم إقرار لهم على ما عبدوه ، وكل طعن فيهم ، فمردّه إلى مدحهم

(١) ص ٤٩ منه (٢) ص ٥١ (٣) من ألف سنة (٤) بيت الأصنام

والثناء عليهم . وأما ما في التائية من ذلك ، فقال فيها مخاطباً لله تعالى ـ كما أجمع عليه شراحها ـ بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها »[١] .

هذه مرائيهم وأخيلتهم في وحدة الوجود ، ومحو الفرق بين الشاهد والمشهود ، فلا مغايرة بينهما ولا اثنينية ، وهؤلاء (الوجودية) يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فالإله عندهم كالكلي الطبيعي ، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، كالإنسان الذي لا وجود له إلا في ضمن أفراده ، فهم يجعلون الله تعالى أمراً اعتبارياً لا وجود له إلا في الموجودات ، وليس له وجود مستقل عنهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

وقد عدّ أبو حيان في تفسيره لسورة المائدة طائفة من هؤلاء الغلاة القائلين بوحدة الوجود . وتجد أسماءهم في هذا الكتاب (ص ١٥٦) كما ترى في موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض ، قال البقاعي : وقد كفرهما العلماء بسبب ما نقل من حالها ، وما صدق ذلك من كلامهما ، أما ابن عربي فالمتكلمون فيه كثير جداً ، وقال عن ابن الفارض : رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً ، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا ، وعدّ كثيراً من أجلائهم (ص : ٢١٤ — ٢١٧) وقد قال إمام القراء شمس الدين الجزري الدمشقي ، نزيل بلاد الروم ثم العجم : « ومما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر ، من كتب المذكور وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يُؤوَّل ، فإنه غلط من قائله ، إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن في الأرض كافر »[٢] .

---

(١) ص : ٢١٨ وكتب هذا تحت عنوان : رب ابن الفارض أنثى ! ؟

(٢) ص : ٢١٤ — ٢١٧

وكذا العلامة المؤرخ ابن خلدون ، فإنه بعد أن عدَّ فريقاً منهم ومن كتبهم ، أفتى بإحراقها فقال : « فالحكم في هذه الكتب وأمثالها ، إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فتعين على وليّ الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق . اهـ .

الرأي في سلف الصوفيّة

نقل المفسر البقاعي عن الشفاء للقاضي عياض عن سلف الصوفية أنهم بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة كالحسن البصري ، وأبي عثمان الحيري ، وسهيل بن عبد الله التستري ، والجنيد (سيد الطائفة) والقشيري والسهروردي ، والجيلاني ، ولكن الأستاذ (الوكيل) المدقق ، هو باحث مستقل مستدل ، قوي العارضة ، شديد المعارضة ، وقد عارض في تعليقاته أقوالهم في نصرة الشريعة بكلمات تؤخذ عليهم . وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك ، ويقبل منه ويرد ، ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى . وقد طبع هذا الكتاب على نسخة الشيخ الجليل محمد نصيف ، المهداة إليه من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله وجزى المحسنين خيراً .

وقد لحظنا أثناء تصفح الكتاب أغلاطاً غير ما نشر فمنها : ص ١٣٠ س ٢٤ : إن حكمة الله تجسدت في عيسى ، لعلها : (كلمة الله) ، وص ١٣٤ س ١٣ : الاجتهاد والصحيح : (الصحيح) ، ص ١٧٦ س ٢١ : ولد سنة ٨٠٥ ... توفي سنة ٨٠٥ والصواب : (ولد سنة ٧٢٤) ، ص ١٩٣ س ١١ : كاضمحلال (كاضمحلال) ، ص ٢٠٢ س ١٢ : إذا لم ينتبه (إذا لم ينته) ، ص ٢٠٣

س ٦ : لهيئته (لهيته) ، ص ٢٠٤ س ٣ : امرأته (إمرته) ، ص ٢١٥ س ٣ : ابن قيم : (ابن قيّم الجوزية) ، ص ٢١٦ س ١٩ : النذر (النزر) ، ص ٢٤٤ س ١ : نقص من الآية الكريمة : «وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا» ، ص ٢٤٨ س ١٠ : التنابذ (التنابز) ، ص ٢٦٢ س ٤ : بأن هناك طريقان (طريقين) .

محمد بهجة البيطار

الشبك

من فرق الغلاة في العراق

تأليف الأستاذ أحمد حامد الصراف

عدد صفحاته (٣١٤) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد عام (١٩٥٤)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشبك جماعة من الأعاجم تقطن أكثر من عشرين قرية في الجانب الشرقي من الموصل ويبلغ عددها نحواً من اثني عشر الف نسمة يتكلمون لغة هي خليط من العربية والتركية والكردية والفارسية . وهم من بقايا الفرق المغالية في الإسلام تطورت مع الزمن عقائدهم وتسلط الجهلة ببدعهم على عقولهم فأبعدوهم عن الروح الإسلامية . وقد حاول المؤلف أن يكشف عن حقيقتهم ، فعقد مع بعض خواصهم صداقات أدرك بها رغم تكتمهم شيئاً من غايته . شاع عن الشبك أنهم لا يعرفون من أركان الدين الإسلامي شيئاً ، يهملون الفرائض الدينية ولا يصلون الخمس ، ولا يصومون شهر رمضان ، ولا يحجون بيت الله الحرام ، ولا يؤتون الزكاة ، يبيحون شرب الخمرة ، ويقيمون المناحات في العشر الأول من شهر المحرم حزناً على مقتل الحسين ، وحسبهم حب علي وآل علي

فهو عندهم حسنة تمحو كل سيئة . وقد ظهر للمؤلف بعد أن خبرهم عن كثب أنهم ـ رغم إنكارهم الفرائض الدينية ـ ليسوا من الغلاة كالنصيرية والبكطاشية وان شعورهم وإيمانهم بواجب الوجود هو عين شعور المسلم وإيمانه بواجب الوجود ، وأما رسول الله محمد فهو عندهم النبي المبجل المعترف به وان كانوا يغالون في حب علي غلواً عظيماً ويبعتونه بأوصاف ونعوت لا يقرها الإسلام .

اختلفت الروايات في عنصر الشبك وأصلهم ونحلتهم ولم يجزم المؤلف بواحدة منها ويرى أن حقيقة أصلهم لم تزل مجهولة كما أن تسرب هذه العقيدة اليهم شيء غامض ومبهم .

وضع المتقدمون أبحاثاً عديدة عن الفرق الإسلامية ، ومن أشهرهم النوبختي وأبو منصور البغدادي وأبو المظفر الاسفرايبني وابن حزم والشهرستاني والفخر الرازي وغيرهم وجميعهم أغفلوا ذكر الشبك وعقيدتهم مما يحملنا على أن نستنتج من ذلك أن عقيدتهم محدثة ومنحدرة من البكطاشية القزلباشية لما بين العقيدتين من أوجه الشبه .

وبعد أن وصف الأستاذ المؤلف عباداتهم في الصلاة والصوم والزكاة والحج الى النجف وكربلاء ، وعدد مواسم أعيادهم والطقوس التي يمارسونها فيها ، اختار قطعاً شعرية شعبية يتلونها في احتفالاتهم الدينية وعربها بأمانة ، يجد فيها القاريء أدباً عامياً عاطفياً يشتمل على نصائح ومدائح للأئمة الاثني عشرية ونحيباً على الشهيد الحسين وغلواً في الإمام علي بن أبي طالب .

وهذا الكتاب هو حلقة متممة من السلسلة التي عقدها المتقدمون عن الفرق الإسلامية تحوي فوائد جليلة وأبحاثاً جديدة استحق عليها الشكر والثناء الجزيل .

جعفر الحسني

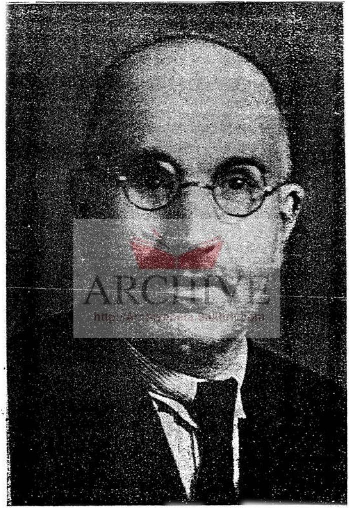

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفاة الأستاذ سليم الجندي

١٨٨٠ - ١٩٥٥ م

وفاة الأستاذ سليم الجندي

في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ (٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٥٥ م) استأثر الله بالأستاذ محمد سليم الجندي عضو مجمعنا العلمي العربي ، فكان لنعيه رنة أسى في قلوب إخوانه من أعضاء المجمع وأصدقائه وفي مجامع العلم والأدب في الشام والأقطار العربية فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولد الفقيد في معرة النعمان سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) من أسرة عريقة في العلم والفضل يتصل نسبها بالعباس بن عبد المطلب ، وشدا في المعرة شيئاً من النحو والفقه ، ثم انتقل به والده السيد تقي الدين إلى دمشق وتوطنها وهو في أول العقد الثالث من عمره ، فقرأ على علمائها وأدبائها وشارك في أكثر علوم عصره وتبحر في العربية وعلومها وآدابها وتاريخها وتمكن من الفقه والتوحيد والحديث والعلوم الرياضية والطبيعية ...

فلما قام الحكم الفيصلي في دمشق عين الأستاذ الجندي منشئاً في ديوان الحاكم العام وأخذ إلى جانب ذلك بالتدريس في مدرسة الكتّاب والمنشئين التي خصصت لموظفي الحكومة ، وكان من غاياتها إصلاح لغة دواوين الحكومة ، فأخذ يقوّم المعوج منها ويصحح الفاسد من لغة الجرائد ، وانضم آنئذ الى جمعية (الرابطة الأدبية) . وانتخب في سنة ١٩٢٢ م .عضواً في المجمع العلمي العربي فآزر في إنجاح أغراضه ونشر في مجلته كثيراً من الأبحاث القيمة المفيدة . وقد سمي بعد قليل مدرساً للعربية في بعض المدارس الثانوية بدمشق وفي مدرسة الأدب العليا في الجامعة السورية فأفاد طلابه الكثير من علمه وأدبه ونهلوا من فضله وخلقه ، إلى أن أحيل على التقاعد سنة ١٩٤٠ م . ثم عهد إليه بعدئذ بإدارة الكلية الشرعية وظل قائماً بها حتى سنة ١٩٤٨ م .

كان الفقيد لطيف المعاشرة ظريف التهكم حاضر النكتة بارع الحديث قوي الحجة جم التواضع نبيل الخلق ، وكان إلى ذلك نقادة للمجتمع والكتب ، لا يجيب سائله إلا بتثبت ومراجعة فلا يلقي الكلام على عواهنه وهذا شأن العلماء المحققين .

وقد تخرج على الفقيد كثير من أدباء الشام وعلمائها ، وأحيا الكثير من شوارد ألفاظ العربية واستحدث مصطلحات فصيحة تشتد حاجة العصر الحاضر إليها وكُتب الكثير منها الذيوع والانتشار .

أولع الأستاذ الجندي بأبي العلاء المعري وعكف على دراسة آثاره المعروفة كلها ، حتى أصبح حجة في فهم تصانيف المعري وألف في ذلك كتباً لم تنشر بعد . فلما أقام المجمع العلمي العربي مهرجان المعري لمناسبة مرور ألف سنة على مولده قام الفقيد بتحقيق (رسالة الملائكة) لأبي العلاء عن مخطوطة وحيدة في العالم موجودة في (دار الكتب الظاهرية) . و (رسالة الملائكة) هذه رسالة ثمينة لا تقل عن (رسالة الغفران) في الكثير من خصائصها .

نشر الفقيد كثيراً من الكتب التي قام بتأليفها أو تحقيقها ، ككتاب (معاني الشعر) لأبي عثمان الاشنانداني وقد صححه مع بعض إخوانه ، وكرسائله التي ألفها عن النابغة الذبياني وامرئ القيس وعلي بن أبي طالب وابن المقفع وعن الكَرْم وعن الطُّرُق وككتابه (عدة الأديب) ، كما اشترك مع بعض أدباء الشام في تأليف سلاسل من الكتب اختاروها من عيون تراثنا الأدبي ككتب (الطُّرَف) و (المنظَّر) .

على أن كتبه التي لم تزل مخطوطة أكثر من التي نشرت ، ومن أجلّها كتابه في تاريخ المعرة .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة كفاء خدمته للغة قرآنه وحرصه عليها ونشره لها .

شرح لزوم ما لا يلزم [1]

- ٢ -

أعود الى نقد شرح اللزوميات . وعذري في تأخير هذا المقال أني طوّحت بيَ الأسفار ، فلم اطّلع على مجلة المجمع ، ولم أدر أنّ مقالي الأوّل بلغها فنشرته إلا بعد شهرين من نشره . ثم استأنفتُ السفر بعد اطلاعي عليه ، فلم أجد للكتابة فراغًا ، فعسى أن يعذرني القارئون .

وبعد فننظر في شرح اللزوميات :

اللزومية الثامنة والثلاثون

البيت الأول :

ليشغلْكَ ما أصبحتَ مرتقبًا له عن العيب يبدى والخليلُ يؤنّب

هكذا شكله الشارح . والصواب والخليل بالكسر عطفًا على العيب . يعني ليشغلك ما ترتقبه في هذه الدنيا من البلاء والفناء ، عن إبداء عيب الناس وتأنيب الخليل .

اللزومية الحادية بعد الأربعين

فلا يُمسِ فَخّارًا ، من الفخرِ ، عائد الى عنصر الفَخّار للنفع يُضرَب

لعلّ إناء منه يُصنَع مرّة فيأكل فيه من أراد ويشرب

المعنى بيِّن . يريد أبو العلاء : لا يكن فخّارًا ، أي كثير الفخر ، من هو عائد الى أن يكون فخّارًا فيضرب للنفع أي تُصاغ منه آنية ينتفع بها . وهذا ما بيّنه في البيت الثاني : لعل إناء الخ .

(١) تتمة لما نشر في الصفحة ٤٩١ من المجلد الثلاثين

ويقول الشارح : « وللنفع يضرب أي هذا حديث يساق ليفيد الناسُ منه عظة وعبرة » .

فانظر كيف حاد عن المعنى وقطع سياق الكلام .

اللزومية السادسة والأربعون

أتوهمني بالمكر أنك نافعي   وما أنت إلا في حبالك جاذب

المعنى واضح . يقول الشاعر : أتمكر بي لتوهمني أنك تريد نفعي ، وأنت لا تجر النفع إلا الى نفسك ، تجذب في حبائلك أنت لا في حبال غيرك .

فانظر ما يقول الشارح :

والحبال جمع حَبَل ما يصاد به . . إلى أن يقول : « والجذب المدّ . أي موسِع لي في وسائل الإغواء لتصيب مني مقتلاً . وقد تكون الحبال جمع حَبْل بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون الجذب هنا بمعنى القطع ويكون المعنى أنه يخيّل له أنه على عهده ووده وهو يكيد له ويمكر به » اهـ .

فانظر كيف بعد عن القريب ، وحاد عن الواضح .

اللزومية الخمسون

لا تسأل الضيف ان أطعمتَه ظُئُراً   بالليل: هل لك في بعض القرى أرب؟

والصواب ظُئُراً بضم الهاء ليستقيم الوزن مع الأبيات الأخرى .

اللزومية الرابعة والخمسون

في البدو خُرّاب أذوادٍ مسوَّمة   وفي الجوامع والأسواق خُرّاب

فهؤلاء تسمّوا بالعدول أو التـــجار وإمم ألاك القوم أعراب

يقول الشارح :

« والعدول الذين يعدلون ولا يميل بهم الهوى . الواحد عادل » .

وظاهر أن المدول جمع عدل وهم الشهود المعدّلون الذين كان الناس يستشهدون بهم ويسجّلون عندهم فيقبل القضاة شهادتهم · فهذا معنى خاص، غير معنى العادل على إطلاقه ·

اللزومية الخامسة والخمسون

يقول فيها أبو العلاء :

أري جُنحَ الدجى أوفى جناحا ومات غرابُه الجَونُ المربّ
فما للنَّسر لبس يطير فيـه وعقربِه المُضبَّة لا تَدِبّ

وبيّن أن الشاعر يريد أن يقول ان الظلام بسط جناحيه على العالم ولبس لهذا الليل انجلاء · أعرب عن هذا بقوله : ومات غرابه · يعني أنه لا يتحرك · وقديماً شبّه الشعراء الليل بالغراب · وزاد على هذا سؤاله : كيف لا تزول كواكب هذا الليل كما تزول الكواكب في الليالي · فسره لا يطير وعقربه لا تدب ·

هذا بيّن من لفظ الشاعر ومن مذهب أبي العلاء في التشاؤم وتصوير العالم مظلماً لا يزول ظلامه ولا يتجلّى نهاره ·

فانظر ما يقول الشارح : «ويريد بموته (موت غرابه) انهزامه وفناءه أمام جيوش النهار، أي أن ظلامه مهما اشتدت حلكته فهو الى انقشاع» ·

ويقول :

«أراد بطيران النسر ودبيب العقرب حركتيهما في مدارهما : أي انه مع انقشاع الليل لا ترى النجوم · وكذلك الأمور الى تبدّل» اهـ ·

ولست بحاجة الى بيان حَيْد الشارح عن المعنى وتعسّفه الطريق · فأدع هذا للقارئ ·

اللزومية السادسة والخمسون

أقرّوا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حِلّ مباح رويدكُمُ فقد بطَل العِتاب

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها والوطء النكاح ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ » .

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج . وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه . ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

اللزومية المتممة للستين

جرى بفراق جيرتنا غُراب فُعالٌ من مقالتهمْ غَريب

يقصد الشاعر أن الغراب مشتق من الغربة على وزن فُعال . وغريب مقول مقالتهم ، أي « غراب » هو وزن فُعال من قول القائل « غريب » .

فانظر ما يقول الشارح اللغوي :

والفُعال بالضم ما تصاغ عليه مصادر الثلاثي الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادّعوا على الغراب من التصويت والصياح والصراخ كأنهم فيها والغربان سواء .

وقال الشارح المعنوي :

« وما أحسب الناس أخطأوا في شيء خطأهم في تسميته و استقامة لفظه من

الغرابة أو الغربة . فما هو بالغريب ولا المغترب . إنما هي حياتنا أنبأت بموتنا، ووجودنا تنبأ بفنائنا » .

وأنا أكل الى القارئ أن يستنبط هذا القول أو ذاك من كلام المعري إن استطاع ، أو أن يجمع بين هذين التفسيرين المختلفين المتباعدين البعيدين عما أراد الشاعر .

اللزوميه الثالثة والستون

تنادوا ظاعنين غداة قالوا أصاب الأرض من مطر مُصيب
لعل شوائماً رمقت وميضاً تَبيدُ ومالها فيها نصيب
وقد تنجو النفوس بأرض جَدبٍ ويُهلك أهلَه المُغني الخصيب

هذا على طريقة أبي العلاء في التشاؤم وارتقاب الهلاك في كل منجاة ، والنعي في كل بشارة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول : يظعن الناس الى مواقع القطر مستبشرين، وما يدريهم لعل الذين يشيمون البرق فيفرحوا به يبيدون قبل أن ينتفعوا بالمطر فلا ينالون نصيباً مما ينبته . وان أدركوا المطر وأخصبوا فما يدريهم لعل النفوس تنجو بأرض مجدبة وتهلك بأرض مخصبة .

فانظر ماذا يقول الشارح :

« انما أنتم روّاد غيث ، ومنتجعو مرعى . قد شمتم البرق فرجّيتموه ، وأملتم المطر فتتبعتم مواقعه . وربما أعياكم السحاب فلم تدركوه . وربما أخطأكم الظن فكان برقكم خُلّباً وسحابكم جهاماً » اه .

ويرى القارئ أن أبا العلاء لم يذكر عدم إدراك السحاب ولا البرق الخلب والسحاب الجهام بل قال لعل شائم البرق يبيد ولا ينال نصيباً منه . إن هذا

الكلام وذاك من مذهب أبي العلاء ولكن ينبغي أن تفسر الألفاظ بمعانيها ، ولا يعدل عنها الى معان أخرى ليست لها وان كانت قريبة منها .

اللزومية الرابعة والستون

شهدت فلم أشاهد غير نُكر   وغيّبني المُنى فمتى أغيب

هكذا ضبط الشارح «غيّبني المُنى» وشكل الميم بالضم والفتح وقال : والمَنى بالفتح القدر وبالضم والكسر جمع مُنية ومِنية بالكسر أيضاً .

فعلى الأولى فالمعنى أن القدر قد قضى عليه بأن يوجد في هذا الوجود ذي النكر وجعل الوجود فيه تغييباً لأنه حبس للأرواح .

وعلى الثاني فالمعنى أن الأماني غَشّت به على الأفئدة والألباب وضربت عليها الحجاب » اه .

وأقول : الأمر أيسر والمعنى أقرب من هذا الشطط ، وقد أوقعنا التحريف في هذا التعسف . وصواب الجملة وغَيْبَتي المُنى فمتى أغيب . يعني أنه يشهد النكر في هذه الحياة ، ومُناه أن يغيب عنها فمتى تتاح له الغيبة أي الموت .

والتحريف في هذا البيت وأبيات أخرى يدعونا الى أن نسأل الشارح : علام اعتمد في ضبط الكتاب ؟ وعلى أي الأصول عوّل ؟ فهو لم يذكر شيئاً عن النسخ التي اعتمد عليها . وكثير من الغلط في الشكل حملته على المطبعة . ولا أدري لعل الشارح تبع فيها نسخاً مغلّطة والمطبعة بريئة .

اللزومية الرابعة والسبعون

أقررتُ بالجهل وادعى فَهْمي   قومي فأمري وأمرهم عَجَب

هكذا ضبط « فَهْمي » بسكون الهاء والعروض التي بنيت عليها الأبيات تقتضي التحريك « فَهَمي » وهي لفظة مستعملة بل هي أخف وأفصح من فَهْم بالتسكين .

اللزومية الخامسة والسبعون

ما الثريا عنقود كرم مُلاحيّ ولا الليلُ يانع غربيب
ونأى عن مُدامةٍ شفقُ النغرب فليتّق المليكُ اللبيبُ

هكذا شكل المليكُ بضم الكاف والصواب فتحها أي فليتق اللبيبُ المليك وهو الله تعالى ·

وفي شرح هذه اللزومية مثال مما يأخذه القارئ على الشارح كثيراً من اتباع الأقوال الغريبة ، والمصادر التي لا يعول عليها في موضوعه ·

فهو يقول في تفسير الكَرْم ان أصله الكَرَم وهو مصدر وصف به العنب لما ذُلّل من قطوفه وكثر من خيره الخ ·

ويزيد الشارح : قال أبو بكر وسمى الكرْم كَرْماً لأن الخمرة المتخذة منه تحث على السخاء والكرم ·

وهذا اشتقاق بعيد وتأويل غريب ·

وأمثال هذا التأويل والتخريج غير المقبول يلقى القارئ كثيراً في صفحات الكتاب ·

ويقول الشارح في تفسير بيت في هذه اللزومية ذكر فيه جالينوس :
قال المسعودي : كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة ·
أقول ليس المعول في تاريخ جالينوس على المسعودي وأمثاله بعد أن اتضح تاريخ اليونان وعرفه المتأخرون تفصيلاً وأوسعوه بحثاً ونقداً ·

وفي هذه اللزوميـة :

سُبّبَ الرزق للأنام فما يَقْـطع بالعجز ذلك التسبيب

كذلك شكل الشارح بقطع وقال في الشرح :

«هو يَقْطَع بهذا الأمر أي قد انتهى الى صوابه فهو يجزم به» ·

أي لا يصح أن يكون هذا التسبيب مما يحملنا نستكنّ ونرضى بالحياة عجزاً وخنوعاً» ·

والصواب في اللفظ والمعنى والأشبه بمذهب الشاعر :

فما يُقْطَع بالعجز ذلك التسبيب ·

أي مُسبِّب الرزق للأنام فنال رزقه القويّ والضعيف ، والقادر والعاجز فما ينقطع سبب الرزق بالعجز ·

ويمنع المعنى الذي ذهب اليه الشارح أمران : الأول انه لا يجوز أن يقال سُبِّب الرزق فلا يجوز العجز فان العجز ليس اختياراً · والثاني أن ما بعد الفاء لا يجوز أن يبنى على ما قبلها ان كان المعنى كما ذهب اليه · لا يقال الرزق مسبب فلا تجوز الاستكانة والرضا بالحياة عجزاً وخنوعاً ، بل يقتضي ترتيب الكلام أن يقال الرزق مسبب فلا ينبغي الجد والكدح ·

***

هذا بعض ما أخذه على شرح لزوم ما لا يلزم النظرُ العابر والنقد الموجز غير المستقصى وعسى أن تبرأ الأجزاء الآتية من مثل هذه المآخذ ·

(جُدَّة) عبد الوهاب عزام

ملاحظات على
ديوان النابغة الشيباني

المطبوع بعناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

– ٢ –

كنا نشرنا في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين (ص ٦٨٤) الشطر الأول من ملاحظات المستشرق المرحوم الأستاذ سالم الكرنكوي على ديوان نابغة بني شيبان . وهذا هو شطرها الثاني :

صفحة	سطر	
٣٣ ،	٤	: مبتاة بكسر التاء .
٣٤ ،	٢	: الأصل ان سخطت يصيد .
	٩	: الأصل أبار . . . بارت براءين .
	١٠	: في هامش الأصل خ ويروى وتحلُّ .
	١١	: في هامش الأصل ويبدي أي بدل يخفي .
	١٣	: الأصل منتجِب بكسر الجيم .
٣٥ ،	٢	: الأصل إلا نقّ .
	١٠	: الأصل مطلِع بكسر اللام .
	١٢	: الأصل بفيض بالفاء .
٣٦ ،	٤	: الأصل يخالفه .
٣٧ ،	٣	: الأصل دقيق الخصر بالدال .
	٤	: الأصل يُعيبُني .
	٨	: الأصل مقرور كذا وهو غلط .
	١٠	: الأصل تغمّط بالغين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٣٧	١٣	الأصل أبو كرب .
٣٨	٧	الأصل والمُحبَّة بضم الميم وكذا في الشرح .
	١٥	الأصل بني عمرو بن همام .
	١٦	الأصل مشوش قرأت أنا هند بن همام أو قيس بن همام
٣٩	١	الأصل مذّ عافيَة .
	٣	الأصل به عُتِقَ آلُ سامة ، وحديث بني سامة بن لؤي مع مصقلة بن هبيرة مشهور .
	١١	من بني أبي ربيعة .
	١٣	الأصل الذي أتى ـ قبيصة وهانئُ بن مسعود .
٤٠	١	ابو ثبيت الخ في الأصل أبو مسهرس صعيد بن همام .
٤١	١	زاد الأصل في آخر الشطر ويروى بحُرمته .
	٧	في هامش الأصل نخ بنعمك .
٤٣	١٣	في الأصل لقروضنا بالقاف .
٤٤	١	الأصل امحاء .
	٣	زاد في الأصل ك بعد من كوّة : أو جيش .
	٦	الأصل ورجات .
	٧	الأصل عَوْد .
٤٦	٨	الأصل فناجيتُ .
٤٨	٣	الأصل لُغُوغ بكسر الراء .
٤٩	١	الأصل أوْيم .
	٨	الأصل ويروى يَجُوبُ على ذوائبها .
٥٠	٥	الصواب مَعَدّ بفتح الميم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٥١ ،	٢	: الأصل قحمٌ بالقاف .
	٣	: هامش الأصل خ تلفا ـ أي تلقى .
٥٨ ،	١	: الأصل في رقاق بفتح الراء .
	٩	: الأصل تَنْدَى .
	١٠	: الأصل تُبْدِي .
	١٢	: ليس في الأصل لفظ قوي .
٥٩ ،	١١	: هذا الشرح ليس في الأصل .
٦٠ ،	٤	: الأصل غيهم بالمعجمة .
٦١ ،	٤	: في هامش الأصل الأرجوان ـ شرحًا للباغز .
	٨	: الأصل صنعت .
٦٣ ،	٢	: الأصل ذل بالذال وكتب تحته : ودق .
	١١	: الأصل فيحاق بكسر الميم وضمها معًا .
	١٣	: الأصل نحاً بالقاف .
٦٤ ،	١٠	: الأصل يركب بكسر الباء .
٦٥ ،	٦	: في هامش الأصل عداب ماء .
	٨	: الأصل تفليج .
٦٦ ،	٢	: الأصل ذات ناى ـ والصواب ذات نأى بالمثلثة .
٦٧ ،	٤	: الأصل تُشبع بضم التاء ، يتبعه شرح : اقصت أي قد افحت .
	٦	: الشرح في الأصل هكذا مرج ذبال نار الحباحب
٦٩ ،	٢	: الأصل جاء بليل يهوس في أدغال ، والوزن لا يستقيم .
	٨	: الأصل القحم بالقاف ـ يتبال بكسر التاء .

ARCHIVE http://archive.org/details/...

صفحة	سطر	
٦٩ ،	١١	: الأصل بالخفال بعلامة إهمال الحاء .
٧٠ ،	١	: الأصل العُبْسُرِين بضم العين .
	٥	: الأصل كبٌ بالباء .
٧١ ،	١	: الأصل فاذا أُبرِزَتْ جِفان من الشيزَى ...
٧٢ ،	١	: الأصل تَزفِي بفتح التاء وكسر الفاء .
	٤	: الأصل اذ حُدِّجت .
	٥	: الأصل مناعمة .
٧٣ ،	٢	: الأصل تزها ـ أي تَزْهَى .
٧٤ ،	٧	: الأصل فِتْيان .
٧٥ ،	٦	: لم أجد هذا السطر في الأصل .
	١١	: الأصل يعْنى .
٧٦ ،	٢	: الأصل ظرتْ حاجتي بما قلتُ .
٧٨ ،	٥	: الأصل عَوْد يُجِدُّ .
	٦	: الأصل مسنِنة بكسر النون .
٧٩ ،	٣	: الأصل حَشَدَتْ .
	٤	: الأصل لها كباش .
	٥	: الأصل مغضوب أحبّ إليّ ، بغضها .
	٧	: الأصل تَمتْ تَناصَتْ .
	٨	: الأصل رِبطاً بكسر الراء .
٨٣ ،	١	: الأصل يِلبك بكسر اللام .
	٣	: تعبُّد .
	٨	: هامش الأصل خ وتَنيشْ .
	٩	: هامش يحش دفيف (كذا) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٨٥ ،	١٣ :	الأصل خصية كما طبع ولكن الصواب حُصِّيَة بالحاء المهملة من الحُصّ وهو الزعفران .
٨٦ ،	١٤ :	الأصل هي الشُدق بضم الشين جمع اشدق .
٨٧ ،	٧ :	الأصل "يحبَيَوْنَ" (كذا) .
٨٨ ،	٤ :	الأصل عاضبات ... للكُبْكُش بضمتين وفي الهامش كَبْكَش وكُبْكُش .
	١١ :	الأصل والحشو ما في بطنه (بكسر الحاء وبغير هاء) ... حتى مرّت بحشوته .
٨٩ ،	٧ :	الأصل ذاك فِعْلِي ... غير .
	١١ :	الاصل من رُحْبَة .
	١١ :	الاصل رُخبَّة .
٩٠ ،	١٠ :	في الاصل شقل كما في المطبوعة والصواب شَعَل بالعين .
٩١ ،	٣ :	الاصل له محيقة .
	٦ :	الاصل ترى الهزاكى مقيماً .
٩٢ ،	٢ :	كتب تحت فالنبت : وفالنف ... رواية أخرى .
٩٣ ،	٤ :	مؤتنفاً بالفاء أي أُنُفًا .
	٥ :	الاصل المسقولة بالسين لعلها لغة بني شيبان .
	٧ :	الاصل إن شجّ .
	١٠ :	الاصل نخوته .
٩٤ ،	٤ :	الاصل مفاصلُها ... من دُفْيِها (كذا) .
	٧ :	الاصل الرعبان تعهدها .
٩٥ ،	٤ :	الاصل كما يَهُبُّ .
٩٦ ،	٥ :	الاصل ان جاءت وان عظمت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
٩٢	٥	: الاصل تحوى لها سُبُل .
٩٨	٤	: الاصل ثَقِلُ .
	٦	: الاصل تمالكُبا .
	٨	: الاصل صعراً وهي قد ذَبُلَت ... قد ذَبُلُوا ، بضم الباء .
٩٩	٤	: الاصل يؤبن (كذا) .
١٠٠	٤	: زاد في الاصل لكثرة الجراحات .
١٠٢	١	: الاصل قَرِحُ بالقاف .
	٦	: الاصل تَلْتَمِحُ .
١٠٣	٧	: الاصل حناها .
١٠٤	٣ و ٤	: الأصل شُقق بضمتين ــ ما المَنْدَى .
	٦	: الأصل الإرخ بكسر الألف .
	٧	: الاصل المعقّر بالعين وتشديد القاف .
	٤	: الاصل قِدّح بكسر القاف .
١٠٥	١	: الاصل خائفة .
	٢	: الاصل صرفت بالراء .
	٤	: الاصل سَجَع بجاءين أي سِجَن . .
١٠٦	١	: الاصل رَقَّسَبا .
	١١	: الاصل صَلُحوا بضم اللام .
	١٢	: الاصل متنصيع بكسر الصاد .
١٠٨	١	: الاصل والجد ذخر
	٧	: الاصل داود عقل .
	٨	: الاصل واحي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة سطر

١٠٨ ، ١٢ : هذه الورقة فيها ثقوب ديدان صعبة القراءة فقرأت أنا
كان حمولها ورِحالها ·

١٠٩ ، ١ : قرأت من كُلْفَتها ·

١١٠ ، ٥ : الاصل يَسُحُ بضم السين ·

٧ : قرأت أنا تمامها بدل قوامها ·

١٠ : الاصل نُشبَةً ·

١١١ ، ٤ : الاصل جُلالها ـ أي جُلَى لغة بني شيبان في جُلِّيَ ·

٥ : الاصل تعامها ·

١١٢ ، ١ : الاصل حتى اذا أغفت ومات ······ حَفَش الإكامَ ···
والصواب ماث بالمثلثة وكذا في سطر ٢ ·

٣ : الاصل مبعّقة بفتح العين ·

١٠ : الاصل رُحما بعلامة إهمال الحاء

١١٣ ، ٢ : الاصل عِفاؤها بكسر العين ·

١١٤ ، ٣ : الاصل يُنْبيِي ·

١١٦ ، ٤ : الاصل غُمْضِ ·

١١٧ ، ٥ : الاصل صادفت بالفاء ·

١١٨ ، ١ : الاصل فأقتل ·

٦ : الاصل عنا (كذا) ·

١١٩ ، ٢ : هذا السطر من زيادات الشنقيطي ·

٣ : الاصل المحارص (كذا) وهو تصحيف ظاهر ·

٨ : النِّقض بكسر النون ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة	سطر	
١٢٨ ،	١٢	: في الاصل المستَقى بفتح القاف .
١٢٩ ،	٨	: في الاصل تَحَنْدَى بفتح التاء وفي الهامش خ وتحذى بلا شكل أي تُحذى .
١٣٠ ،	٣	: في الاصل مِن دارِها قَذَفُ .
١٣١ ،	٨	: في الاصل يَقْدَمُها عرفاء عزباء بعلامة إهمال العين .
	١٠	: في الاصل بأكيك النحض .
١٣٢ ،	١	: في الاصل بناها الدَّرُّ .
	٢	: في الاصل نباها الدر بتقديم النون .
	٣	: في الاصل ذِلاً يوم تَعْتَنِرفُ .
	٧	: البرقُ .
١٣٣ ،	٥	: في الاصل ويروى كالقد يسوسها ، ويسوسها الخ .
	٦	: في الاصل دِينا بكسر الدال وكذا في الشرح .

ثم تبقى أشياء غير مهمة اختلفت الطبعة عن النسخة الأصلية التي نقلت عنها ولا شك نسخة الشنقيطي التي في خزانة دار الكتب بالقاهرة ، مثلاً ورد لفظ يعف في جميع المواضع بفتح الفاء بدل الضم فلا أدري هل هي لغة بني شيبان أم غلط من الناسخ ويظهر أن الشنقيطي إما كتب نسخته عجلاً أو غير رواية الأصل عمداً لأنه رأى في رواية الأصل أوهاماً من كاتب النسخة والنسخة الأصلية جيدة الكتابة تامة الشكل إلا ان التصاوير لبست عندي اليوم فلا يمكن الرجوع اليها .

رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء

وقفتُ على هذه الرسالة وهي مما أطلع عليه بعضُ علماء طهران عاصمة إيران الإمامَ العلامة البحاثة المرحوم السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي المتوفى سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) فكتبها بخطه وعنه نقلتُها في ذلك البلد ولم يذكر فيها اسمُ مؤلفها ولا عصرُه ولكن يشعر ذكره لآخر رجل من علماء الآخرة وسنة وفاته وهي سنة ٨٩٥ أنه من رجال المائة العاشرة الهجرية ولم أقف على النسخة الأصلية لأصفها وقد راجعت كشف الظنون فلم أجد به للرسالة والمؤلف ذكراً .

أما هذه الرسالة فيبين لمؤلف غرضه من تأليفها بقوله في مفتتحها بعد البسملة والحمدلة والصلوٰة :

هذه رسالة بهية ومقالة شهية فيها ما اشتهر من العلوم والعلماء ولم آلُ جهداً في استقراء الأواخر واستقصاء القدماء وأسأل الله تعالى أن يجعلني من العلماء الصالحين ويفتح على قلبي أبواب الرحمة إنه خير الفاتحين .

وهذه المامة بمحتوياتها تراها كافية في التدليل عليها ، ولعل في من يعنى من الباحثين بتراثنا العلمي وما خلفه لنا الأجداد ، وكثير منه لم يرزق الحظ بتكثير نسخه ، من يكشف عن مؤلفها القناع ، ابتدأ الرسالة بتفصيل العلوم فقال :

العلم المدون صنفان أحدهما ما دوّنه علماء الاسلام والثاني الحكماء الذين كانوا قبل بعثة نبينا (ﷺ) . أما الأول فمنه علم العربية المسمى بعلم الأدب وهو كما قال المحقق الشريف في شرح المفتاح : علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة . وينقسم على ما صرحوا الى اثني عشر قسماً فمنها أصول هي العمدة في ذلك ومنها فروع .

فالأصول ما يبحث فيها اما عن المفردات من حيث جوهرها وموادها فعلم اللغة ومن حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف أو من حيث انتساب بعضها الى بعض

بالإصالة أو الفرعية فعلم الاشتقاق . واما عن المركبات على الإطلاق . فاما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح فعلم البيان واما عن المركبات الموزونة فاما من حيث وزنها فعلم العروض ومن حيث أواخر أبياتها فعلم القافية .

وأما الفروع فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر أو بالمنثور فعلم إنشاء النثر من الرسائل والخطب أو لا يختص بشيء فعلم المحاضرات ومنه التواريخ . أما البديع فقد جعلوه ذيلاً لعلمي البلاغة .

ثم ذكر تنبيهات ستة عرض فيها لإطلاق علم اللغة على جميع أقسام العربية وللاشتقاق الصغير والكبير وانه علم مستقل عن علم الصرف ولعلمي المعمى والالغز ولتعريف علم العروض وعلم قرض الشعر ولأن علم البديع قسم مستقل من علم العربية وقال : ولعل قرض الشعر والإنشاء جزءان من البديع فانه عبارة عما تعرف به محسنات الكلام منظوماً كان أو منثوراً .

ومنه مما دونه علماء الاسلام علم التفسير وينقسم الى تفسير وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول والقصص وإلى تأويل وهو ما يمكن إدراكه بقواعد العربية . فالقول الأول بلا نقل خطأ . وكذا القول بالثاني بمجرد التشهي وان أصاب فيه . وقد يطلق التأويل على ما يفهمه أرباب القلوب الصافية بالإلهام والمكاشفة . ثم قال : وعلوم المكاشفات لا تغني عن ظاهر التفسير . ومنه علم الحديث وعلم القراءة وعلم الأمثال . ومنه علوم الكلام والفقه والأصول وعلم الجدل ويسمى علم الخلاف وعلم آداب البحث .

ومنه علم الآخرة؛ قال : وهو قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة؛ فعلم المعاملة هو علم أحوال القلب بحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها سواء كانت محمودة كالصبر والشكر أو مذمومة كالحسد والحقد وقد أفاض في ذلك الكلام إفاضة ليست من غرضنا ، ومنه علم طريق الآخرة ، قال : وهو العلم بكيفية تصقيل مرآة القلب عن الأخباث التي هي الحجاب عن الله عز وجل وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيته وتطهيره بالرياضة وكف النفس عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم ، وهنا أطال البحث وعرض فيه لضبط علوم الاسلام فقال : ان سعادة الانسان منوطة بثلاثة أمور (١) إطاعة الأوامر والنواهي البدنية من العبادات وأسباب انتظام أمور الدنيا ، (٢) معرفة النفس والمبدأ والمعاد ، (٣) معرفة الأوامر والنواهي وهي علم الفقه ومآخذها أصول الفقه ، (٤) معرفة الأخلاق هي علم المعاملات ومعرفة النفس ونظائرها اما أن تحصل بالاستدلال أو بالتصفية والرياضة فمعرفتها بالاستدلال هي الكلام ومعرفتها بالتصفية والرياضة هي علم المكاشفة والعلم الذي يعرف به طريق التصفية والرياضة هو علم سلوك الآخرة وإثبات المسائل الفقهية والكلامية موقوف على المناظرة وإفحام المعاندين للدين فلا بد من تدوين آداب البحث وعلم الجدل ولما توقف تحصيل بعض من هذه العلوم وتكميل بعض منها على العلم بالقرآن والحديث ، وان علم التفسير والقراءة ومخارج الحروف وعلم الحديث موقوفات على علم العربية وعدّ معرفة هذه العلوم من فروض الكفاية وذكر اختلاف العلماء في تعلم علم الكلام هل هو فرض عين أم فرض كفاية وهل هو مباح أم محرم .

ثم عرّف علم المنطق وبسط الكلام في تعريف الحكمة وتقسيمها الى عملية ونظرية وما يتفرع عنها من العلوم وأطال في ذلك الكلام وكله جم الفائدة جدير بالمعرفة ، وبعد فراغه من هذه المباحث الجليلة وتقريبها الى الأذهان عمد

الى تفصيل طبقات العلماء ممن حذقوا علماً من العلوم وتاريخ وفياتهم مبتدئاً بطبقة اللغويين ثم النحويين فأرباب المعاني فأهل العروض والشعر وأرباب الإنشاء فالمؤرخين فالمفسرين فالمحدثين فالقراء فالمتكلمين فالفقهاء ثم الأصوليين فعلماء الآخرة ثم الحكماء القدماء ثم الحكماء الإسلاميين .

هذه هي الرسالة وهذا نموذج من محتوياتها بلغت صفحاتها سبعاً وستين من القطع الوسط ، ومنه يعلم ما لنشرها وطبعها من عميم الفائدة إن لم يكن قد عثر على نسخة منها من لهم عظيم العناية بآثار سلفنا الصالح وفوق كل ذي علم عليم .

سليمان ظاهر

أغلاط في حديث أدبي

اتفق أن رأيت في مجلة المصور (العدد ١٥٧٤) الصادر في (١٢/١٢/٥٤) حديثاً نقله السيد طاهر اللوزي - فيما يقول - عن دولة الأستاذ الأديب فارس الخوري وكان إذ ذاك رئيساً لوزراء سورية تحت عنوان (شاعر) ومتعلقنا من هذا الحديث ما نقله السيد اللوزي من قول دولة الأستاذ الخوري (ان العرب لم يكونوا يغتفرون اللحن) ثم ما أورده شاهداً على ذلك من قصة تتضمن إنكار أحد الشعراء على أبي علي القالي روايته وإنشاده بيتاً من الشعر جاء مكسور الوزن بوضع كلمة موضع أخرى وقد وجدنا في هذه القصة من خطأ الطابع والراوي ومن عثرات القلم ما لا يجوز السكوت عليه وقد كتبنا كلمة بينا فيها هذه الأغلاط وبعثنا بها ولعل ذلك كان في اليوم الثالث لصدور العدد ولكن على تتبعنا لأعداد المصور - التي تلت ذلك العدد - مدة طويلة لم نر تلك الكلمة قد نشرت في عدد من أعداد المصور .

وهذا ما جاء في تلك القصة من أغلاط :

١ — عدّ الخطأ في إيراد البيت لحناً وإنما هو كسر في وزن الشعر وهذا لا يسمى لحناً وإنما اللحن في مصطلح علماء الأدب يطلق على ما يخرج به المتكلم على قواعد النحو وقد يمتد على سبيل التوسع والتجوز الى الخروج على قواعد الصرف فمثل قول بعض العامة في حديثهم (على كُلاً) يقال له لحن وقول بعضهم (يوكل) مكان (يأكل) قد يطلق عليه على سبيل التوسع والتجوز لحن .

٢ — إن رواية البيت عن أبي علي كانت على الصواب وعلى ما يستقيم به الوزن فقد جاء في الحديث هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافهن لأيدينا مناديل

هذا البيت هكذا لا كسر فيه وهو من البسيط وتدرك استقامته بالسليقة الشعرية .

نقوله : إن الصواب هو (أعرافها) مكان (أعرافهن) من الخطل والصواب العكس كما لا يخفى فاذا وضعنا (أعرافها) مكان (أعرافهن) يصبح البيت هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافها لأيدينا مناديل

وهذا ما يدرك بالذوق الشعري أن فيه كسراً .

٣ — إن المعروف أن هذا البيت لعبدة بن الطبيب كما جاء في ترجمة أبي علي القالي وهو هكذا :

ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

فأنشده أبو علي هكذا :

ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافها لأيدينا مناديل

والمحفوظ في هذا المعنى لامرئ القيس هذا البيت :

نمشُّ بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

(نمش : نمسح ، المضهب : المشوي بالنار أو على حجارة محماة) .

٤ — ان الذي جاء في الحديث المعزو إلى دولة الأستاذ الخوري أن المنكر على أبي علي خطأه في إنشاد البيت هو الشاعر (أبو شراعة) وذلك بلا ريب تحريف ويشبه أن يكون هذا منقولاً عن كلام أعجمي والصواب أن المنكر هو (ابن رفاعة الالبيري) .

٥ — انه جاء في الحديث نعت أبي علي القالي بصاحب المعالي هكذا: (أبو علي القالي صاحب المعالي) وهذا من قبيح الخطأ، والصواب (صاحب الأمالي) إذ ان من المشهور أن أباعلي صاحب الأمالي وهو الكتاب المشهور الذي يعد من أمهات كتب الأدب ولقب (صاحب المعالي) للوزراء لم يكن معروفاً في ذلك الزمن على أنه قد انتشر في ذلك الزمن من الألقاب ما مجه الناس وسخروا منه وعلى هذا قول من قال:

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الحديث أغلاط في الإعراب والإملاء نذكر مثالين منها:

١ — (أرسل من يدعو أبو علي) وظاهر أن هذا لحن والصواب (أباعلي) لأنه مفعول (يدعو) .

٢ — (لامرؤ القيس) والصواب (لامرئ القيس) لأن ما قبل الآخر في هذه الكلمة يتبع الآخر في إعرابه وتوضع الهمزة على الحرف المناسب لحركتها والمناسب للكسرة في لفظ (لامرئ القيس) الياء فتوضع عليها الهمزة .

هذا ونحن نستبعد ان تقع هذه الأغلاط المبينة آنفاً من أديب كتلك ما في المثالين الأخيرين فما آفة الأخبار — والأحاديث — إلا رواتها .

(عمان) عبد الله القلقيلي

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

-٣-

٥٤: صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٨ — وصلات ثنائية double bonds .

قلت : رُبُط مضاعفة ، للتي تدل على تبادل قيمتين من قيم كل من الجوهرين المتحدين أحدهما بالآخر (رمزيًا : خطان أو نقطتان كما في الأتيلين مثلاً $H_2C = CH_2$) .

٥٥: صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٠ — بوتقة ، بودقة crucible .

قلت بُوطة ، بالضم ، وهي الذي يذيب فيه الصائغ . من الفارسية (بُوته) بأنباء المثلثة التحتية ، وهي شبه مقلاة لصهر المعادن . ولم أجد كلمة بوتقة ولا بودقة في المعاجم التي بين يديّ . والأتراك يستعملون الكلمة الفارسية نفسها (بوطة) . وأحسب أن الكلمة الفرنسية (pot) منها أيضًا ، ولكن لمطلق الاناء أو القصعة أو الأصيص . والبوطة بالفرنسية هي (creuset) من (creuser) أي حَفَرَ ، جَوَّف ، (جَوَّرَ) الخ .

٥٦: صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٣ — حَلَقي cyclic .

قلت : دوري ، من دَوْرة لما يقابل (cycle) التي اصطلح عليها المجمع (انظر ما قلته في الرقم ٢٤ عن كلمة acyclic) ، دفعًا للّبس بكلمة (حَلَقي) ؛ و (cycle) من اليونانية kuklos ومعناها cercle أي دائرة لا حَلْقة .

٥٧: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١ — نزع الآمين Desamination .

قلت : خَسْفَمَة ، نحتًا من (خَسَفَ - أَمَنَ) أي حذف الأمين . وباستعمال كلمة واحدة سهولةٌ لا تخفى خصوصًا للوصف والإضافة والاشتقاق .

فيقال (خـنمَ desaminer ـ مخـنمَ desaminé ـ تخـنم) مما يتعذر الإتيان بمثله من الكلمتين .

٥٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٤ — صفّق decanter .

قلت : أبان من (بانوا بيناً وبَيْنُونة فارقوا . والشيء بيناً وبُيُوناً وبينونة انقطع . وأبانه غيره . والمرأةُ عن الرجل فهي بائِن انفصلت عنه بطلاق . وضربَه فأبان رأسه ، والبائن القوس التي بانت عن وترها) ، في كل ذلك معنى الفصل والانفصال . ومعنى الكلمة الافرنجية هو (فصل الجزء الرائق من مائع ، عن ثفالته الراسبة في قعر الوعاء الموضوع فيه والمتروك وشأنه حيناً) . أما الصّفق والإصفاق والتصفيق فهو (تحويل الشراب من إناء لآخر ممزوجاً ليصفو) فهو إذن يوافق الكلمة الفرنسية (tranvaser أي النقل من إناء الى إناء) .

٥٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٥ — تصفيق decantation .

قلت : إبانة (وكذا بالفرنسية decantage) . والإبانة عمل يتم به فصل الجزء الرائق من مائع عن ثفالته (كما جاء آنفاً رقم ٥٨) .

٦٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٧ — محلول عياري normal solution .

قلت : محلول نظامي . وهو المحلول المهيأ على نظام الذرة . أما العياري فهو لما يقابل titré (أو المعاير) وهو الذي يحتوي على كمية معلومة من المادة في لتر من المحلول ، وليس من المشروط أن يكون على النظام الذري . (مثال عليه : محلول فهلنغ ـ محلول الثورانيل) . وبين المحلول النظامي ، والمحلول العياري أو المعاير اختلاف كبير . فكل محلول نظامي محلولٌ معاير وليس كل محلول معاير ، محلولاً نظامياً .

٦١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٨ — محلول عشر العياري ، المحلول العشري . decinormal solution

قلت : محلول عشر نظامي ، للسبب المذكور في الرقم ٦٠ . أما المحلول العشري فهو الذي يحتوي من المادة المذابة فيه على مقدار يوافق ١ الى ١٠ (١٠ بالمئة) دون النظر الى النظام الذري وهو المقصود من الكلمة الفرنسية au dixième فلا يجوز البتة أن يقال (المحلول العشري) لما هو عشر نظامي ، فالبون بينهما شاسع والخطأ واضح .

٦٢: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٢ — نزعَ الايدروجين dehydrogenate .

قلت : خَسْفَجَ ، نحتاً من (خَسَفَ - هَدْرَجَ) أي حَذَفَ المدرجين . ومن هذه الكلمة الوحدة يسهل اشتقاق الكلمات (خسفجة - مُخسَفِج - مُخسفَج الخ) التي يتعذر الاتيان بمثلها من الكلمتين .

٦٣: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٣ — نزْع الايدروجين dehydrogenation .

قلت : خَسْفَجَة (انظر الرقم ٦٢) .

٦٤: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٦ — أزال الماء dehydrate .

قلت : بَلْمَهَ ، نحتاً من (بلا - ماء) أي جعله بلا ماء . والاشتقاق منها بعد ذلك يسير : (تبَلْمَهَ - مبلمه - مبلمَه - بَلمهة) .

٦٥: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٧ — مزيل الماء dehydrating agent .

قلت : مُبَلْمِه ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٦: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٨ — إزالة الماء dehydratation .

قلت : بَلْمَهَة ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٧: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٠ — أزال الشعر dépilate .

قلت : لا حاجة الى استعمال كلمتين وفي لغتنا كلمة (جَمَّشَ) موضوعة لهذا الغرض . يقال : جَمَّشَ رأسَه حلقَه . والجُموش من النورة ، الحالقة ومنها اشتققتُ (مُجَمِّشة depilatoire) وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٦٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢١ — إزالة الشعر dépilation .

قلت : تجمّش ، (انظر الرقم ٦٧) .

٦٩: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٢ — نَشَّفَ dessicate,to .

قلت : جَفَّفَ ، فالتجفيف هو التيبيس وهو المقصود من العمل في دور الكيمياء أو دور الصناعة وغيرها . أما التنشيف فلا بد فيه من استعمال ما يأخذ الماء . يقال : نَشَفَ الماءَ تنشيفاً أخذه بخرقة ، فهو يقابل بالفرنسية sécher . والنَّشَّافة منديل يتمسح به . والنُّشْفة بفتح فسكون خرقة ينشف بها ماء المطر ويعصر في الأوعية .

٧٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٣ — تنشيف dessication .

قلت : تجفيف ، للسبب المذكور في الرقم ٦٩ .

٧١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٤ — مِنْشاف dessicateur .

قلت : مِجَفّ ، للسبب الذي ذكرته في الرقم ٦٩ . والمِنْشَف أصلح لما يقابل (sechoir) .

٧٢ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٤ — مَقْطَر distillerie .

قلت : مَقْطَرَة ، وزان مفعلة ، اسم مكان . ومجمع فؤاد كان أقرّ قياسية مفعلة للمكان الذي يكثر فيه الشيء من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول عامة سواء أكانت من الحيوان أو النبات أم من الجماد (ج ٢ — ص ٥٢) ، فالمَقْطَرَة ، المكان الذي يكثر فيه تقطير شيء بعينه (ماء - غول - أشربة روحية - عطور الخ) .

٧٣ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٦ — وصلة ثنائية double bond .

قلت : رباط مضاعف (انظر ما ورد في الرقم ٥٤) .

٧٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٨ — قارورة قَطّارة dropper flask .

قلت : يستنبلة (انظر ما قلته في الرقم ٥٠) اسم آله من ستَل أي سال قطرانا .

٧٥ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٤ — مستحلب emulsifier .

قلت : مُحلِّبة ، وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٧٦ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٢٧ — حوامض دهنية fatty acids .

قلت : حُموض دسمة (لأن حوامض جمع حامضة) .

٧٧ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٣ — مرشّح filter .

قلت : مِرشَحة ، اسم آلة من رَشَح (دون تخصيص من الثلاثي أو الرباعي) .

٧٨ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٤ — رَشاحة filtrate .

قلت : رُشاحة ، بالتخفيف وزان فُعالة (الذي يدل على بقية شيء أو رديئه أو نفاثته ، كما هو جلي من الكلمات القديمة التي اشتققتها على الوزن نفسه) .

٧٩ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٨ — مسحوق ناعم fine pouder .

قلت : مسحوق طَيْمَل ، والطهمل هو الذي لا يوجد له حجم إذا مُسّ ، فمسحوق طَيْمَل ، غاية في النعومة ويقابل الكلمة الفرنسية impalpable .

٨٠ صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٦ — مائع fluid .

قلت : سَيال ، من السَّيولة . وخصصنا المائع لما يقابل liquide .

٨١ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٨ — مُيوعة fluidity .

قلت : سُيُولة ، للسبب المذكور آنفاً (رقم ٨٠) .

٨٢ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٢٥ — مسبك fondry .

قلت : مَسْبَكة ، على اسم المكان وزان مفعلة . ومثلها (مَصْبَرة) من الصَّبْر وأحسبها أكثر ملاءمة من المسبكة لأن fonderie من fondre وهذه من اللاتينية fundere أي أرسب في القعر ، ومعناها بالفرنسية (جعل الشيء

مائعاً أو أذابه في مائع) . فالصهر غير السبك فالسبك يتضمن معنى القَوْلَبَة (= الإذابة والإفراغ) وليس من المشروط في الصهر القولبة . وأرى أن تخصص (مَسْبَكَة) لما يقابل (lingoterie) ، والقَوْلَبَة لما يقابل (moulage) .

***

هذا ، ولا يتوهمن أننا بملاحظاتنا هذه نبخس أعضاء المجمع الأفاضل جهودهم وكلهم عالم لغوي نحرير ، أو عالم فني قدير . لا بل إننا ممن يكبرون ما بذله هؤلاء الجهابذة من جهد بالغ وما عانوه من مشقة عظيمة في هذا السبيل . فما إيجاد كلمة لمصطلح افرنجي ، هين . ولا اشتقاق لكلمة أعجمية ، يسير . ولا ضير على المجتهد أخطأ أم أصاب : فله أجر العمل إن أخطأ ، وله أجران أجر العمل وأجر الإصابة إن أصاب . وفقنا الله جميعاً لما فيه خدمة لغتنا المحبوبة ، من الناحية العلمية وهدانا للصواب فهو الكريم الوهاب .

الكواكبي